سياسة الخليفة المستنصر فى الأندلس نحو الأدارسة في المغرب الأقصى

(٣٥٠- ٣٦٦هـ/٩٦٢- ٩٧٧م)

دكتور

شوقي محمد يوسف حسن شحاته

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ

في كلية اللغة العربية

فرع جامعة الأزهر بإيتاى البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين، سيدنا محمد، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ٠

ـ وبعد ـ

فقد كانت العلاقات بين الأمويين في الأندلس والأدارسة في المغـــرب الأقصى ، تتراوح بين الود والصداقة في بداية الأمر، ولكن أمد هذه الصداقة كان قصيرا، فسرعان ما تلاشت وانقلبت إلى كراهية ، بل تجمدت العلاقات بينهما وخاصة بعد أن استقبل إدريس الثاني(١٨٧- ٢١٣هـ/٨٠٢- ٨٢٨م)، الثائرين على الدولة الأموية في مدينة فاس وشجعهم على الإقامة فيها، وبهذا العمل دخلت العلاقات بين بني أمية في الأندلس والأدارســة فــي المغــرب الأقصى، مرحلة أكثر برودة وتوترا٠

وقد كان الأدارسة في المغرب الأقصى مذبذبي الولاء بين الفــاطميين والأمويين لأنهم لم يجدوا خيرا في أي من الطرفين، وكان كل ما يعنيهم أن يتخلصوا منهما، ويحتفظوا باستقلالهم وسيادتهم كاملة ولم يقوموا بما قاموا به الإمصانعه ورياء لذا قيل عن الأدارسة إنهم فاطميون في أعمــاقهم ، وقــال آخـــرون إنهم كانوا أمويين في عواطفهم ، ولكـــن الحقيقة إنهم كــانوا مغاربة حريصين على أن يظلوا مستقلين عن كل تيار محايــد تجــاه كــل معسكر، ولكن ضعف سلطانهم وقلة مواردهم كانت تدعوهم إلى مداهنة هذا ومجاملة ذاك، لاسيما بعد أن اضطروا إلى تسليم فــاس عاصــمة آبــائهم ، والاكتفاء بمدينة البصرة أو قعلة حجر النسر، ولقد لزمتهم روح الطموح إلى

آخر لحظة في حياتهم ، بل إن مطامحهم ظلت في الأندلس ممثلة في تلك المجموعة التي احتفظ بها الخليفة الحكم المستنصر في ديوانه بقرطبة منذ عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م، والتي تكونت منها الطلائع الأولى لدولة على بن حمود بن ميمون بن إدريس ، والذي سوف يدخل قصر الخلافة في قرطبة لاسترجاع المغرب، بل الاستيلاء على الخلافة الأموية نفسها.

وقد تناولت في هذا البحث الذي هو بعنوان "سياسة الخليفة الحكم المستنصر نحو الأدارسة في المغرب الأقصى" الحديث عن علاقة الأدارسة في المغرب الأقصى بالأمويين في الأندلس ، ثم تحدثت عن ولاء الأدارسة للأمويين، غير أن الأدارسة لم يلبثوا أن نقضوا دعوة الأمويين ودعوا للفاطميين على منابرهم، ثم تحدثت عن موقف الأمويين من ذلك، وقد تمثل هذا الموقف في إرسال الخليفة الحكم المستنصر عدة حملات إلى المغرب الأقصى، منها حملة محمد بن القاسم بن طملس ، وحملة غالب بن عبد الرحمن الناصري، حتى تمكنوا في النهاية من القبض على آخر أمراء الأدارسة وترحيله إلى الأندلس، ثم قتله فيما بعد سنة ٣٧٥هـ/٩٨٦م. وبقتله أصبح المغرب الأقصى ولاية أندلسية تخضع لحكومة قرطبة.

وفي النهاية لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقول إنني بذلت غاية جهدي في سبيل إخراج هذا البحث على هذه الصورة، لعل ذلك يضيف شيئا إلى مكتبتنا التاريخية، فإن حقق هذا المرتجى ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن لم يفعل فهو تقصير مني، ولا كمال إلا لله وحده، والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتور

شوقي محمد يوسف حسن شحاته

الأدارسة في المغرب الأقصى:

قامت دولة الأدارسة (١٧٢- ٣٧٥هـ/٧٨٩- ٩٨٥م) في المغرب الأقصى([١]) ، بعد أن فرَّ مؤسسها إدريس بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبي طالب من الحجاز مع جماعة من المنهزمين بعد موقعة فخ([٢]) سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٦م ([٣]) ، واستقر في أول الأمر بمدينة طنجة غير أنه لم يجد

([١])المغرب الأقصى: يشمل الأراضي الواقعة بين وادي ملوية وجبال تازا شرقا حتى المحيط الأطلنطي غربا، وبين البحر المتوسط شمالا وجبال درن جنوبا، وقد سمي بهذا الاسم لأنه أبعد أقسام المغرب الثلاثة عن دار الخلافة في صدر الإسلام، انظر: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ط ١٩٨٣م ج٦، ص٢٠١، السلاوى: الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، نشر في ثلاثة أجزاء ، القاهرة، بدون تاريخ ج١، ص٣٤، أبو الفداء : تقويم البلدان، دار صادر، بيروت بدون تاريخ، ص١٢٢، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق، سعد زغلول عبد الحميد بغداد، ١٩٨٦م ص١٧٩، صابر دياب: بلاد المغرب في القرن الأول الهجري، الفيوم، ط١، ٢٠٠٠م ص٤ .

([٢])فخ: وادى في الطريق بين مكة والمدينة، يبعد عن مكة بنحو ستة أميال، أنظر: الحميرى: الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م ص٤٣٦، ياقوت: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ١٩٥٦م/١٩٥٧م ج٤ ، ص٢٣٧.

([٣])عن موقعة فخ سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م، اظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة، بيروت ، ١٩٨٢م، ج٦، ص٩٠: ٩٤، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، ط١٩٧٣م، ١٩٧٤م، ج١، ص١٦ وما بعدها القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق. نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م ، ج٥، ص١٧٥، ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٣٣م ، ج١٠، ص١٥٧، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٩م، ج٦، ص١٩٢: ٢٠٤، الحميرى: المصدر السابق، ص٤٣٦، ٤٣٧ ياقوت: المصدر السابق، ج٤ ص٢٣٧، ٢٣٨، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩، ج٢، ص٤٢٣، ٤٢، =

بهـــا مراده(١)، فرحـــل إلـــى مدينـــة وليلـــي(٢)،حيـــث جمـــوع قبيلـــة أوربه(٣) ، التي يصفها ابن أبى زرع بأنها "كانت في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب، وأكثرها عدداً وأشدها قوة وبأسا وأحدها شوكة" (٤) ٠

=إسماعيل العربي:الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ،ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة ، الجزائر ، ١٩٨٣م ص٥١: ٥٨

(١)البكرى: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تـــاريخ ص١١٨، ابن الأبار: الحلة السيراء: تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص٥٢، ابن زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م ، ص١٩، ابن عذارى: البيان المغـــرب فـــي أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق٠ ج٠ س٠ كولان، وليفي بروفسال٠ دار الثقافـــة، بيـــروت، ط٢، ١٩٨٥م، ج١، ص٨٣، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص١٣، ١٤، مجهول: مصدر سابق، ص١٩٤

(٢)مدينة وليلى: مدينة قديمة بالمغرب الأقصى ، أسسها الرومان على قمة جبل زرهون، غربـــي فاس، بينها وبين فاس مسافة يوم، وهي محصنة بسور مبني من الحجر ، انظـــر: البكـــرى: مصدر سابق، ص١١٨، مجهول: مصدر سابق ص١٩٤، الحميرى: مصدر سابق، ص٦٠٩، ياقوت: المصدر السابق، ج٥، ص٣٨٤

(٣)قبيلة أوربه: قبيلة بربرية من برانس المغرب الأوسط، كانت تعيش في المنطقة الغربيـــة مـــن تلمسان وكتلة جبل الأوراس، ثم في منطقة الزاب، وقد لعبت هذه القبيلـــة دورا بـــارزاً فـــي أحداث الفتح الإسلامي ، وكان زعيمها كسيلة الأوربي الذي قتل عقبة بن نافع، ثم هاجرت بعد الفح الإسلامي في ظروف معينة إلى المغرب الأقصى، واستقرت في منطقة الريف، وساندت الأدارسة في قيام دولتهم في المغرب الأقصى٠ انظر: مجهـــول: مصـــدر ســـابق ص١٩٤، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبـــراهيم الإبيـــارى، دار الكتـــاب المصري، القاهرة،ودار الكتاب اللبناني ، بيـــروت، ط٢، ١٩٨٢م، ص٨٧، ابـــن الخطيـــب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، الجزء الثالـــث (تـــاريخ المغـــرب العربي في العصر الوسيط) تحقيق: أحمد مختار العبادى، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٦٤م، ج٣، ص١٩٠ هامش٤

(٤)روض القرطاس، ص٢٠ ٠

وما أن وطئت أقدام إدريس بن عبد الله أرض مدينة وليلى حتى توجه إلى أمير قبيلة أوربه وزعيمها "إسحاق ابن محمد بن عبد الحميد الأوربي(١) وقد اطمأن إلى شخصه ووثق به، ثم عرفه بنفسه، وبالأسباب التي دفعته إلى الفرار من وطنه بالحجار، ولجوئه إلى هذه المنطقة النائية، فرحب به إسحاق الأوربي وآمن بدعوته وتولى خدمته والقيام بشئونه عدة أشهر(٢) ٠

وقد تمكن إدريس بن عبد الله بفضل فصاحة لسانه وبلاغته من نشر دعوته والتأثير في نفوس خاصته، بعد أن عرفوا قرابته من النبي- صلى الله عليه وسلم – فجمع له إسحاق الأوربي أخوته وقبائل أوربه، وطلب منهم مبايعته فرحبوا به وأعربوا عن تقديرهم له (٣) ٠ قائلين: "إنه سيدنا ونحن عبيده٠٠٠ فما يريد منا؟ قال: تبايعونه قالوا سمعا وطاعة، ما منا من يتوقف عن بيعته ٠٠٠٠ فبايعوه بمدينة وليلي في يوم الجمعة ٤ من شهر رمضان ١٧٢هـ/٦ فبراير ٧٨٩م (٤) ٠

---

(١)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٢٤، ابن أبي زرع : مصدر سابق، ص١٩، الجزنائي: جنى زهرة الأسى في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩١م ص١٢، بينما يسميه السلاوى إسحاق بن عبد الله الأوربي، ويسميه ابن الخطيب، عبد المجيد الأوربي٠ انظر: السلاوى: مصدر سابق ج١، ص٦٧، ابن الخطيب، مصدر سابق ج٣، ص١٩٠

(٢)البكرى: مصدر سابق، ص١١٨، ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢١٠، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٢٤، مجهول: مصدر سابق، ص١٩٤، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص١٩

(٣)ابن خلدون: المصدر السابق ج٤، ص٢٤، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص٦٧، ٦٨، ابن القاضي المكناسي: مصدر سابق، ج١، ص٢٠، محمود إسماعيل: الأدارسة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م ، ص٥٧

(٤)ابن أبي زرع: مصدر سابق ، ص٢٠

ثم بعد ذلك أتته قبائل صنهاجة وهواره وزناته وغيرها من قبائل البربر، فبايعوه على السمع والطاعة واعترفوا بسلطانه، ثم وفدت عليه الوفود من أماكن متفرقة لتلبية الدعوة الجديدة والتي تبنتها قبيلة أوربه ودعت إليها([1]) .

مما سبق يتضح لنا أن قبيلة أوربه كانت أول من صدق على بيعة إدريس بن عبد الله ، لكن أشياخ القبيلة اعتبروا أن الاقتصار على قبيلة واحدة لا يمكن أن يضمن بلوغ الهدف، ولعل إدريس بن عبد الله كان أيضا حريصا على تكوين جمع من القبائل يلتف حوله ويسانده، لذا كانت الخطوة التالية هي ضم عدد من القبائل إلى جانبه.

وفي ذلك يقول ابن أبي زرع: "وكان أول من بايعه قبيلة أوربه... ثم بعد ذلك أتته قبائل زناته وأصناف البربر من أهل المغـــرب مـــنهم زواغـــه وزواده ولمايه وسدراته وغياثه ونفزه ومكناسة وغمارة، فبايعوه ودخلوا في طاعته ..... ثم وفدت عليه الوفود من سائر البلدان"([2]).

وقريبا من هذا المعنى يقول ابن خلدون: "واجتمعت عليه زواغة ولوائه ومدراته ونفزه ومكناسة وغُماره، وكافة البرابر بالمغرب، فبايعوه وقاموا بأمره([3])،أما ابن الخطيب فيقول:"فبايعوه على القيام بأمرهم وولوه صلاتهم وأحكامهم وغزوهم، فاستجابت له القبائل الريفية وغيرها([4]) .

([1])ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٢٤، ابن أبي زرع: مصدر سابق، نفس ص٢٠ ، محمود إسماعيل: مرجع سابق، ص٥٣، إسماعيل العربي: مرجع سابق ص٦٤

([2])روض القرطاس، ص٢٠

([3])العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٤، ص٢٤

([4])أعمال الأعلام، ج٣، ص١٩١

والسؤال الذي يفرض نفسه، لماذا أقبلت قبائل المغرب على مبايعة إدريس بن عبد الله؟ الجدير بالذكر أن قبائل المغرب كانوا يعلمون ما نزل بآل البيت من اضطهاد وتعذيب وتنكيل على أيدي خلفاء بني العباس(١). ويضاف إلى ذلك حاجة قبائل المغرب إلى زعامة دينية وسياسية توحد صفوفهم وتجمع شملهم، ولم يكن هناك أفضل من رجل ينتمي إلى آل البيت(٢) .

وقد كانت قبائل المغرب في ذلك الوقف بعصبيتها وعدد أفرادها هي كل شئ في بلاد المغرب، فالمدن برغم وجودها لم تكن لها قوة سياسية، بل كانت القوة السياسية موجودة معنويا وماديا لدى قبائل المغرب (٣) .

ولما تمت لإدريس بن عبد الله البيعة، وتمكن سلطانه وعلا شأنه، واتخذ من مدينة وليلي مقرا له. جمع جيشا من قبائل البربر، وخرج به غازيا إلى بلاد تامسنا(٤) ففتح شاله، وسائر تلك الحصون، وسار إلى

---

(١)عن موقف بني العباس من آل البيت. انظر: ابن الأثير: مصدر سابق، ج٦، ص٩٠، ٩٤، الطبرى: مصدر سابق، ج٦، ص١٩٢، ٢٠٤

(٢)ابن أبي زرع: مصدر سابق ص١٩، سعد زغلول: مرجع سابق، ج٢، ص٤٣٠

(٣)محمد زنبير: المغرب في العصر الوسيط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م، ص٥٩

(٤)تامسنا: مدينة وولاية في غرب فاس بالمغرب الأقصى، يخترقها نهر أم الربيع ونهر أبو الرقراق الذي يصب في المحيط الأطلنطي، بين مدينتي سلا والرباط، وهذه الكلمة تعني بلهجة زنانه البسيط الخالي، انظر: الحميرى: مصدر سابق، ص١٢٩، مارمول كريخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المغرفة، المغرب، ١٩٨٤م، ج٢، ص١٢٦، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في المغرب والأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٣م، ص١٥٦، هامش٤

تادلـــه (١) فافتتح حصونها، إلى أن بلغ ماسه،وهي مناطق لم ترسخ فيها أقدام الإسلام بعد، وقد عرف أهلها بالزيغ وانحراف العقيدة، وكانت أكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والإسلام بها قليل، مثل فندلاوه وبهلوانة ومديونة وبرغواطه، فأسلم أهلها على يديه(٢) . ثم توجه بعد ذلك إلى تلمسان فدخلها صلحا سنة ١٧٣هـ/٧٩٠م، وانضوت تحت نفوذه كل من قبيلتي بني يفرن ومغراوة سكان تلك المنطقة(٣) .

وقد ساهمت قبيلة أوربه وقبائل البربر مساهمة كبيرة وبشكل هام ومؤثر في قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، ودعمت وجودها واستمر هذا الأمر إلى وفاة إدريس بن عبد الله سنة ١٧٥هـ/٧٩٢م(٤).

---

(١)تادله:اسم إقليم شهير بالمغرب الأقصى، يقع على نهر أم الربيع، ويمر به الطريق بين فاس ومراكش، وبين الشمال والجنوب،عبر جبال أطلس الوسطى، بني بها المرابطون حصنا عظيما، وينسبه إليها الكثير من العلماء والصلحاء والقادة، وبهـــا الكثيـــر مـــن الأسواق والمساجد، انظر: الحميرى: مصدر سابق، ص١٢٧، مجهول: مصدر سابق، ص٢٠٠، ياقوت: مصدر سابق، ج٢، ص٥

(٢)ابن خلدون : مصدر سابق، ج٤، ص٢٤، الجزناني: مصدر سابق، ص١٢، ١٣، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٢١

(٣)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٢١، الجزناني: مصدر سابق ، ص١٤

(٤)عن وفاة إدريس بن عبد الله. انظر: البكرى: مصدر ســـابق، ص١٢٠، ١٢٢، ابـــن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص١٩٢، ١٩٤، ابن خلدون: مصـــدر ســـابق، ج٤، ص٢٥، بينما يجعل ابن أبي زرع وفاته سنة ١٧٧هـ/٧٩٤م. انظر: ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٣

وبعد وفاته تولى ابنه إدريس الثاني (١٨٧- ٢١٣هـ/٨٠٣-٨٢٨م) سنة ١٨٧هـ/٧٩٢م(١) ، فبايعته قبائل البربر، واستقام الناس له، وتوطد ملكه، وكبر سلطانه، وقويت جنوده وأشياعه وعظمت جيوش وأتباعه(٢) .

وفي سنة ١٩٧هـ/٨٢١م بدأ إدريس الثاني سلسلة من الحروب مع بربر المغرب الأقصى، تمكن خلالها أن يمد نفوذه إلى بلاد المصامدة(٣)،

---

(١)يوجد فاصل بين موت إدريس بن عبدالله وتوليه ابنه إدريس الثاني، ويرجع السبب في ذلك إلى أن إدريس بن عبد الله لما توفى لم يكن له ولد إلا حمل من جارية له تسمى (كنزه)، ظل الأمر بيد راشد مولى إدريس بن عبد الله حتى وضعت كنزه إدريس الثاني، فتكفل به راشد حتى بلغ إحدى عشرة سنة فأخذ البيعة له من قبائل البربر، انظر: البكرى: المصدر السابق، ص١٢٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٤، ٢٥، ابن الخطيب: المصدر السابق، ج٣، ص١٩٥،١٩٦

(٢)ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٨، الجزناني: المصدر السابق، ص١٦، ١٧

(٣)المصامدة: من البربر البرانس، وهم من ولد مصمود بن يونس بن بربر، وقد حدد المؤرخون مواطنهم ما بين وادي ملوية من وجهة الشرق إلى أسفى حاضرة البحر المحيط، وجبال درن من جهة الغرب، ويبدو أن عددهم كان كبيرا، ومما دفع بعض المؤرخون إلى التعبير عن ذلك بقوله: "وقبائل المصامدة أمم لا يحصيهم إلا خالقهم".

وقد قسم المؤرخون هذا الشعب إلى ثلاثة مجموعات في الشمال حيث تسكن قبائل غُمارة، وفي الوسط حيث تسكن قبائل برغواطه وفي الجنوب حيث تسكن مصمودة بالمعنى المحدد، والقبائل التي يطلق عليها هذا الاسم كثيرة منها هسكورة، وصنهاجة وغُمارة، ودكالة، وحاجة، ورجراجة، وجزولة، ولمطة، وجنفيه، وهنتانه، وهرغه، وقبائل أهل تيتمال، وهزمير، وهيلانه، وهزرجه وغيرها.

وقد نزل هذا الشعب المغرب الأقصى، وانتشر فيه مع الهجرات البربرية إلى بلاد المغرب. لمزيد من التفاصيل عن المصامدة، انظر: ابن خلدون:مصدر سابق ج٦، ص٤٢٧، ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٦١، مجهول مفاخر البربر، تحقيق: محمد زينهم (جهاد للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م)ص٧٥، ٧٦، المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق:محمد سعيد العريان، (القاهرة، ١٩٦٣م)، ص٤٢٥ القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، (دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، =

ويثبت أركان دولته من تلمسان إلى ساحل البحر المحيط، وأخذ ينشر الإسلام بين سكان هذه المناطق، الذين كانوا يدينون بديانات مختلفة مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية ([1]) .

علاقة الأدارسة في المغرب الأقصى بالأمويين في الأندلس:

أراد الحكم بن هشام (١٨٠- ٢٠٦هـ/٧٩٧-٨٢١م) أمير قرطبة، أن يستغل فرصة عداء الأدارسة للدولة العباسية، لأن كلا من الأمويين في الأندلس والأدارسة العلويين في المغرب الأقصى يشتركون في عداء بني العباس.لذا رغب الحكم بن هشام في مواصلة إدريس الثاني(١٨٧-٢١٣هـ/٨٠٢- ٨٢٨م) ، وبعث له بسفارة تهنئة باعتلائه العرش([2]) .

وعلى الرغم مما تميزت به هذه العلاقة في البداية من الود والصداقة بين العاهلين الأندلسي والعلوي، والتي جرى توثيقها بواسطة سفارة الحكم بن هشام إلى فاس، فأن أمد هذه الصداقة كان قصيرا. فسرعان ما تلاشت

=بيروت، ط٢، ١٩٨٢م) ص١٦٩، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين،دار الفكر العربي(القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م) ص٣٧، ٣٨، الفردبل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي (بنغازي ١٩٦٩م)، ص١٧٢، ١٧٣، عبد العزيز بنعبد الله : مظاهر الحضارة المغربية (دار السلمى، الدار البيضاء، ١٩٥٨م) ، ج٢، ص٦، حسين سيد عبد الله مراد: قبائل المصامدة منذ الفتح حتى قيام دولة الموحدين في المغرب، (رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩١م)، ص٢٢ وما بعدها.

([1])البكرى: مصدر سابق، ص١٢٣، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٢٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٠١

([2])محمد بن تاويت: دولة الرستمين أصحاب تاهرت. (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد ٥ سنة ١٩٥٧م)، ص١٦

وانقلبت إلى كراهية. ويرجع سبب ذلك إلى استقبال إدريس الثاني لعدد من الفرسان الأندلسيين الفارين من الأندلس إلى المغرب الأقصى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م) وكان هؤلاء الفرسان الساخطون على الأمير الحكم بن هشام يمثلون النخبة الأرستقراطية العربية في قرطبة(١) وكان قدومهم إلى المغرب الأقصى يُعد مكسبا لإدريس الثاني، لأنه ظل يشعر بالوحدة والعزلة منذ ولايته في وسط القبائل البربرية. لذا نجده لم يتأخر في احتضانهم وتقريبهم إليه، سواء منهم القادمون من قرطبة أو القيروان، وعهد إليهم بالوظائف العالية، وجعلهم بطانته الخاصة دون البربر . وفي ذلك يقول ابن أبي زرع: "فسر إدريس بوفادتهم ، واجزل صلاتهم، وقربهم ورفع منازلهم، وجعلهم بطانته دون البربر" (٢) .

ويبدو أن هذه العناصر العربية كانت ساخطة على حكم كل من الأغالبة بإفريقية والأمويين بالأندلس، وقد استمر تدفق العرب على المغرب الأقصى حتى كثر عددهم وضاقت بهم البلاد (٣) .

وقد وجد هؤلاء الفرسان العرب الفارين من الأندلس في المغرب الأقصى صورة من الحياة القبلية، وعادات لا تختلف كثيرا عن عاداتهم، فاندمجوا في السكان اندماجا تاما بالتزاوج، وتأثر كل فريق بعادات الفريق الآخر(٤) ولذلك فليس صحيحا ما قاله أحد المؤرخين: من أن القبائل العربية

---

(١)ابن أبي زرع : مصدر سابق، ص٢٩

(٢)روض القرطاس، ص٢٩

(٣)ابن أبي زرع: المصدر السابق ، ص٢٩

(٤)أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٨٢م)، ج٤، ص١٢٤

التي نزلت المغرب تبربرت بطول الزمن في لغتها وزيها وعاداتها[١]. والحق أن السكان الأصليين تعربوا من كثرة ما توافد عليهم من العنصر العربي إلى بلادهم، وطول الاختلاط بالعرب وبخاصة عندما جاء الإسلام مع العرب، حتى أصبح الدم العربي والدين الإسلامي هو طابع السكان في تلك البلاد[٢] .

أما الحدث الثاني الذي زاد من توتر العلاقات بين الحكم بن هشام وإدريس الثاني فهو استقبال الأخير لعدد كبير من الفارين من الأندلس بعد فشل ثورة الربضيين[٣] ، التي قاموا بها ضد الحكم بن هشام[٤] سنة

---

(١)الطاهر أحمد الزاوى: الفتح العربي في ليبيا، (دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م) ص٧

(٢)أحمد شلبي: مرجع سابق ج٤، ص١٢٥

(٣)الربض: ناحية بجنوب قرطبة على الضفة المقابلة لنهر الوادي الكبير تسمى شقنده. انظر: الحميرى: مصدر سابق، ص٣٤٩، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص١٤٠، هامش٣، عبدالحميد العبادي: المجمل في تاريخ الأندلس: (دار القلم ط٢، ١٩٦٤م) ص٧٩

(٤)قام أهل الربض بثورة ضد الحكم بن هشام، وقد استطاع هذا الأمير القضاء على هذه الثورة قضاء مبرما، كما أمر من بقي حيا منهم بترك الأندلس، وهذه الإجراءات جعلت اسمه مقرونا بهذه الناحية ، فسمى الحكم البرضي. لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة. انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٢٧٤، ٢٧٥، ابن الآبار: مصدر سابق، ج١، ص٤٤، ٤٥، الحميرى: مصدر سابق، ص٥١، المراكشي: مصدر سابق، ص٤٤، ٤٧، خير الله طلفاح: حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية، بغداد، ط٦، ١٩٧٧)، ص٩٨، ٩٩ أحمد الشعراوى: الأمويون أمراء الأندلس الأول، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩م) ص٢٣٨، ٢٥٢، عبد الحميد العبادى: مرجع سابق، ص٨٠: ٨٢

٢٠٢هـ/٨١٧م) [١] فرحب بهم إدريس الثاني وأنزلهم بين القبائل البربرية في جبال الريف شمالي المغرب وفاس واصلا والبصرة[٢] وفي ذلك يقول ابن القوطية أثناء حديثه عن ثورة الربض: "وافترقوا ولحقوا بساحل البربر وصاروا أهلها" [٣] وقريبا من هذا المعنى يقول الحميرى: "ولما جرى على أهل الأندلس من الربض أيام الحكم بن هشام ما جري، خرج منهم عدد عظيم، فنزلت طوائف منهم ساحل البربر واستوطنوها[٤] .

وعلى الرغم من الآثار السلبية لهجرة الأندلسيين على المجتمع الأندلسى، إلا أن هذه الهجرة كان لها آثار إيجابية بالنسبة لمناطق المغرب الأقصى، فبعد أن رحب بهم إدريس الثاني شجعهم على الإقامة في مدينة

---

(١)اختلف المؤرخون في تاريخ هذه الثورة،فابن تغرى بردي يجعلها في رمضان سنة١٩٨هـ/٨١٤م، وابن الآبار وابن عذارى وابن سعيد يجعلوها في سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م. انظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م) ج١، ابن الأبار: المصدر السابق، ج١، ص٤٥، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص١١١، ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (دار المعارف، ط٣، القاهرة، بدون تاريخ) ج١، ص٤٢

(٢)ابن أبي زرع: مصدر سابق ص٤٧، ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص٤٥، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق:إبراهيم الإبيارى (دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني ط١، ١٩٨٢م) ص٦٩ المقرى: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس (دار صادر ، بيروت ١٩٦٨) ج١، ص٣٣٩ محمود إسماعيل:مرجع سابق ، ص١٥٥، أحمد الشعراوى: مرجع سابق، ص٢٤٧

(٣)افتتاح الأندلس، ص٦٩

(٤)الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٥١

فاس [١] فاستجابوا له وأقاموا بها، وزادوا في عمارتها ببناء مساكن جديدة تحمل الطراز الأندلسي، وحملوا معهم مظاهر الحضارة الأندلسية، إذ كان أغلبهم من أهل الزراعة والحرف التقليدية[٢]فأعطوا بذلك لهذه المدينة مظهرا جديدا يغلب عليه الطابع الأندلسي الجميل، سواء في الصناعات المختلفة أو في شكل الأبنية ذات اللون الأبيض الناصع، أو في إنشاء الحدائق المنزلية الناضرة، لذا أصبحت مدينة فاس منذ ذلك الوقت يطلق عليها مدينة الأندلسيين نسبة إليهم [٣]

والجدير بالذكر أنه لم يدم التقارب بين الأدارسة والأمويين طويلا، بل تجمدت العلاقات بينهما وبهذا العمل دخلت العلاقات بين بني أمية في الأندلس والأدارسة في المغرب الأقصى مرحلة أكثر برودة وتوترا، فقد أصبح الحكم بن هشام عاهل الأندلس يخشى امتداد نفوذ الأدارسة إلى بلاده، وبهذا عادت الأحقاد العلوية الأموية القديمة، ويبدو أنها استمرت على هذا النحو مع خلفه، فالعداء بين البيتين قديم وله جذور ممتدة إلى عهد الخليفة على بن أبي طالب(٣٥- ٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م) ومعاوية بن أبي سفيان

---

(١)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٤٧

(٢)رضوان البارودى: الكوارث الطبيعية في الأندلس، (دار الفكر العربي ودار الثقافة، الإسكندرية، ١٩٩٢م) ص٦٤

(٣)ابن أبي زرع: مصدر سابق ، ص٤٧، مصطفى أبو ضيف أحمد: آثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، (مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٣م) صد٤٣

(٤١- ٦٠هـ/٦٦١- ٦٨٠م) ، بل إلى أبعد من هذا التاريخ تعود أيامه إلى عصر الجاهلية وصدر الإسلام [١].

وقد ظل إدريس الثاني (١٨٧- ٢١٣هـ/٨٠٣- ٨٢٨م)، في مقعد الحكم حتى توفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م. فتولى ابنه الأكبر محمد بن إدريس من بعده[٢] (٢١٣- ٢٢١هـ/٨٢٨- ٨٣٥م) فقام بتقسيم أقاليم الدولة بناءاً على توجيهات حدته كنزه بين أخوته[٣] واحتفظ هو لنفسه بولاية فاس[٤]وقد تم هذا التقسيم بعناية مع مراعاة التقسيم الجغرافي للمغرب الأقصى، وباعتبار ما يتمتع به كل واحد من أخوته من قوة الشخصية وما اشتهر به من الشجاعة والفضل[٥] وبرغم أن هذا التقسيم عمل على تفكك الدولة إلا أنه أدى إلى توزيع الأمراء الأدارسة على مختلف أنحاء المغرب الأقصى[٦]

وفي ظل دولة الأدارسة عاش المغرب الأقصى حياة تنعم بالاستقرار والهدوء حتى ظهر مصالة بن حبوس المكناسي قائد جيوش أبي عبيد الله

---

(١)محمود على مكي: التشيع في الأندلس ، (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد٢، ١٩٥٤م، ص٩٣، ٩٤

(٢)البكرى: مصدر سابق، ص٢٣، ١٢٤، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٢٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠١، ٢٠٢، ابن أبي زرع: مصدر سابق ص٥٠، ٥١

(٣)البكرى: المصدر السابق ص١٢٣، ١٢٤، ابن عذارى: مصدر سابق ج١، ص٢١١، ابن الآبار: مصدر سابق، ج١، ص١٣١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٥١ السلاوى: مصدر سابق ، ج١، ص٧٥

(٤)البكرى:المصدر السابق، ص١٢٤

(٥)إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص١٢٣

(٦)البكرى: مصدر سابق، ص١٢٤ــ ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٥١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص٧٥، ابن عذارى: مصدر سابق، ج١، ص٢١١، محمود إسماعيل: مرجع سابق، ص٨٠، إسماعيل العربي مرجع سابق، ص١٢٤، ١٢٥

المهدي[١]في أرض المغرب الأقصى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م[٢] ومنذ ذلك الوقت أصبح المغرب الأقصى يمر بفترة حالكة من تاريخه. إذ أصبح حكامه من الأدارسة لا يملكون من أمره شيئاً، وإنما كانوا يخضعون لغيرهم، فتارة يدعون للفاطميين على منابرهم، وتارة أخرى يدعون للأمويين حكام الأندلس، وقد ظل هذا الأمر حتى سقطت دولتهم سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، يضاف إلى ذلك تلك المنازعات القبلية والحروب الطاحنة، التي استمرت حتى مجئ المرابطين، وقد أثرت هذه الحروب في أوضاع المنطقة، وجعلتها لا تنعم بالاستقرار الذي شهدته في عهد الأدارسة، وقد نتج عن ذلك كله أنه لم تقم في المغرب الأقصى دولة واضحة المعالم في هذه الفترة التي تمتد من أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حتى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادي عشر الميلادي[٣].

---

(١)عبيد الله المهدي: هو أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن أبي طالب(رضي الله عنهم)، وهو عراقي الأصل، ولد ببغداد ، وقيل بالكوفة سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م،ولما تم له الأمر باشر بنفسه وبعث العمال وجبي الأموال،وفي سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، أمر ببناء المهدية وحصنها، ونشر دعوته التي امتدت من برقه إلى المغرب الأقصى، وتوفى في سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، ودفن في المهدية، انظر: ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (دار المسيرة، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م)، ص٧١، ٧٣، ابن الآبار: مرجع سابق، ج١، ص١٩٠، ١٩٤، مجهول: مفاخر البربر، ص١٢، الطاهر الزاوى: مرجع سابق، ص١٧٩

(٢)البكرى:المصدر السابق، ص٩٥، ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص١٧٩، ابن خلدون مصدر سابق، ج٦، ص٢٧٤

(٣)حسن على حسن: دراسات في تاريخ المغرب العربي، (مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٩م)، ص١٧٣ نفسه: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م) ، ص٥

ولاء الأدارسة للأمويين:

بعد أن توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ/٩٦٢م، تولى ابنه الحكم المستنصر الذي يبلغ من العمر سبعة وأربعين سنة أو ثمانية وأربعين سنة، وهذا يرجع إلى طول فترة حكم أبيه التي بلغت نصف قرن (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦٢م)٠ ولذا كان الخليفة عبدالرحمن الناصر يمزح مع ابنه ويقول له: "لقد طوّلنا عليك يا أبا العاص" (١)

وقد اتبع الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦٢- ٩٧٧م)، نفس السياسية التي كان عليها أبوه في عدائه الشديد للفاطميين، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لذلك، فالأمويون في الأندلس كانوا يهتمون بشتى الوسائل ليتجنبوا الخطر الفاطمي، الذي بات يهددهم إذا لم يسهروا على دولتهم سهرا حازماً سوف يطغي عليهم الفاطميين الذين كانوا يتحينون الفرصة لذلك٠

لهذا رغب بنو أمية في التوسع ناحية بلاد المغرب، وفرض نفوذهم عليه، واتخاذ خط دفاعي في هذه المنطقة، كما عملوا على جذب الحلفاء والأنصار من رؤساء القبائل البربرية وأمراء المغرب إلى جانبهم وتحريضهم على الدولة الفاطمية، ومن أجل ذلك عمل الحكم المستنصر على مواجهة الموقف بحزم وجدية فاتخذ قرارا يتعلق بالاحتياطات العسكرية، وتحصين المواقع الاستراتيجية اللازمة للأمن والتي يستدعيها الوضع الراهن، فاستهل عمله بأن أسقط عن أهل سبتة الوظائف المخزنية والمغارم

---

(١)ابن الآبار: مصدر سابق، ج١، ص٢٠٠

السلطانية سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م[١] ثم خاطب أمراء المغرب ورؤساء قبائله "سالكا في ذلك الخط السياسي الذي رسمه أبوه من قبل، وكان أول من استجاب له زعيم قبيلة زناته محمد بن الخير بن محمد بن خرز، وكان من أكبر ملوكهم جميعاً وأبسطهم يدا، وأشدهم للأمويين إعظاما، وذلك لما كان لأبيه وجده من ولاية لبني أمية[٢] .

وقد تضاعف عزم الحكم المستنصر في حماية أعمال العُدوة المغربية فحشد عزائم المغاربة ضد الفاطميين بالترغيب تارة والترهيب أحياناً حتى انقاد إليه الكثير منهم[٣] ، كما حرص العاهل الأندلسي على تحصين حدوده الجنوبية الأندلسية، لذا تحرك بنفسه في شهر رجب سنة ٣٥٣هـ/ سبتمبر ٩٦٤م. إلى ثغر ألمرية في جماعة كبيرة من الرؤساء والقادة ليشرف بنفسه على أعمال التحصين الجارية بها، وليتفقد أحوال المجاهدين المرابطين بهذا الثغر البحري، استعدادا لمواجهة أي هجوم فاطمي متوقع على الأندلس[٤].

كما عمل الخليفة الحكم المستنصر على تطوير الأسطول في عدده وعدته إذ قفز عدد السفن من ثلاثمائة في عهد أبيه الخليفة الناصر، إلى ستمائة قطعة بحرية في عهده [٥] وكانت معظم وحدات هذا الأسطول ترابط

---

(١)عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس، ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م ، ص١٨٥

(٢)مجهول: مفاخر البربر ص١٩

(٣)المصدر السابق ص١٩

(٤)ابن عذارى: مصدر سابق ج٢، ص٢٣٦

(٥)السيد عبد العزيز سالم:تاريخ مدينة ألمرية(مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م) ص١٥

في القاعدة الرئيسية بألمرية لمواجهة الخطر الفاطمي وهذا ما يؤكده ابن عذارى في قوله: "وفيها (أي سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م) تحرك الحكم من قرطبة إلى ألمرية توقعا لما يصدر من صاحب إفريقية المعادى لأهل الأندلس، ولمعاينة ما استكمله بها من الحصانة ومطالعة حال رابطة القبطة ومشارفه حال الرعايا بتلك الجهة[١]أما أشبيلية فقد جعلها الحكم المستنصر مقرا للأسطول المرابط على سواحل المحيط الأطلنطي لمواجهة الخطر النورماندى [٢] .

ونتيجة لهذه السياسة الأموية فقد أسرع الأدارسة إلى تجديد الولاء والطاعة للخليفة الحكم المستنصر، فهناك رواية لمؤرخ مغربي يذكر فيها أنه استقبل في منتصف شوال من عام ٣٥٦هـ/٩٦٧م) سفيرين من أمراء المغرب الأدارسة في قصر الزهراء، وتسلم منهما الكتب التي يؤكد فيها الأمراء أنهم على محبة صادقة ومودة مستحكمة، مع التزامهم الطاعة واعتقادهم للولاية فأدني إليه الخليفة هذين الرسولين والطف جوابهما[٣] .

وبعد ذلك تتابعت الرسل والوفود على قرطبة من الأدارسة لتقديم الولاء والطاعة للعاهل الأندلسي، وتدعيم الصلة القوية بين المغاربة والأندلسيين ، وتلتمس في ذلك الوقت من حكومة قرطبة الإمدادات والمساعدات العسكرية ، ففي شهر المحرم سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، احتفل الخليفة الحكم المستنصر بقدوم ثلاثة رسل هم عيسى بن محمد، ومحمد ابن العالي، وحسن بن على، من بني محمد الأدارسة أمراء المغرب الأقصى،

---

(١)البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٦ .

(٢)محمد عبد الله عنان: مرجع سابق ص٤٣

(٣)ابن عذارى: المصدر السابق ، ج٢، ص٢٣٩، ٢٤٠

يجددون الولاء والطاعة للأمويين، ويطلبون منهم مساعدة عسكرية، وإيفاد بعثة تتكون من الرماه لتعضيدهم وتقويتهم ضد أي هجوم مفاجئ يتعرضون له من الجيش الفاطمي، وقد حمل هذا الوفد هدية قيمة من خيل وجمال وغير ذلك، فسربها الخليفة الحكم وتقبلها أحسن قبول(١) .

وفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م اجتمعت قوات بني خزر تحت قيادة محمد ابن الخير بن محمد بن حرز- أمير قبيلة زناتة الموالية للأمويين وأعداء الشيعة – مع قوات جعفر ويحيى ابني على بن حمدون المعروف بأبن الأندلسي، على قتال زيرى بن مناد الصنهاجي قائد الفاطميين، ودارت بين الفريقين في رمضان سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، معركة حامية الوطيس، انتهت بهزيمة الفاطميين ومقتل زيرى بن مناد الصنهاجي ومعظم رجاله، واستيلاء قبيلة زناتة على معسكره (٢).

ولم يكتف الزناتيون بهذا بل قطعوا رأس زيرى بن مناد، ورؤوس عدد من أكابر أصحابه ، وحملها جعفر ويحيى ابنا الأندلسي ، إلى الأندلس ، وقدموها إلى الحكم المستنصر الذي غمرهم بعطفه وكرمه وصلاته (٣).

وقد قدم لنا ابن حيان تفاصيل زيارة جعفر ويحيى ابنى على بن حمدون إلى الأندلس، برؤوس زيرى بن مناد وأصحابه، وما كان استقبال

---

(١)ابن عذارى: مصدر سابق ج٢، ص٢٤١

(٢)ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على حجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان ١٩٨٣م، ص٢٦، ٢٧ ، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣١٦، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٢، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٠، ٢١

(٣)ابن عذارى: مصدر سابق- ج٢، ص٣٤٢

قاضي إشبيلية وصاحب المواريث في ذلك الوقت، وما كان من استقبال الخليفة الحكم المستنصر لهم سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م [١].

وقد كانت لهذه الهزيمة التي حلت بصنهاجة وسادتهم الفاطميين أثر عميق على الخلافة الفاطمية لذا أمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (٣٤١- ٣٦٥هـ/٩٥٢- ٩٧٥م) قائده الصنهاجي يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجي أن يسير إلى المغرب بجيش كبير للأخذ بثأر أبيه والانتقام من قبيلة زناتة التي قتلته سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م. وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "واتسم هو وقومه بطاعة العبيديين أمراء الشيعة، فكانوا حربا لاضدادهم من زناته الموالين "لأملاك المراونية" [٢] وفي ربيع الثاني سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، تمكن بلكين بن زيرى من إيقاع الهزيمة بزناتة وأتباعها، وقتل منهم في مواطن كثيرة خلق لا يحصيهم إلا الله[٣] وفي ذلك يقول ابن عذارى: "وأقام أبو الفتوح (أي بلكين بن زيري) في بلاد المغرب، وهو قد ملكها، وأهل سبتة منه خائفون ، وزناتة مشردون" [٤].

أما أمير زناتة محمد بن حرز المغراوى فلم يتحمل الهزيمة التي حلت بزناتة وأتباعها فأقدم على الانتحار بأن أتكا على سيفه فذبح نفسه حتى لا يقع في يد عدوه[٥] خاصة بعد أن تمزقت جموع قبيلة زناتة، وبسط بلكين بن

---

(١)المقتبس: (ت حجي) ص٤٤، ٥٣، ٥٧، مجهول: المصدر السابق، ص٢١

(٢)الإحاجة في أخبار غرناطة، تحقيق – محمد عبد الله عنان ، (مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م) ج١، ص٤٣١، ٤٣٢

(٣)ابن الخطيب: أعمال الأعمال، ج٣، ص٢٢١، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٢

(٤)البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٣

(٥)ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٣، ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٣١٥، ابن حيان: المقتبس، (ت حجي) ص٣٨

زيرى سلطانه على بلاد المغرب، وهدم مدينة البصرة وغيرها من المدن المغربية، وقطع دعوة بني أمية منها، وأخذ البيعة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وبذلك حقق بلكين بن زيرى انتقامه لمقتل أبيه [١]

نقض الأدارسة طاعة الأمويين:

ظل الأدارسة على طاعة الأمويين حتى سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، واستمرت السيادة الفاطمية الأموية المشتركة سائدة في بلاد المغرب ، تطعمها روح المنافسة والعداء التقليدي بينهما وبين قبيلتي صنهاجة الموالية للفاطميين، وزناته الموالية للأمويين، أما الفاطميون والأمويون فقد اقتصر الصراع بينهما على إثارة الفتن والدسائس من وراء الستار[٢] .

وبعد هزيمة قبيلة زناتة وأتباعها على يد بلكين بن زيرى سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م سارع الحسن بن كنون (٣٤٩- ٣٧٥هـ/٩٦١- ٩٨٦م) زعيم الأدارسة إلى نقض طاعة الأمويين في الأندلس، ومبايعة بلكين بن زيرى والانضواء تحت لوائه . أو بعبارة أخرى تحت لواء سادته الشيعة [٣] وقد علل ابن أبي زرع تصرف الأدارسة هذا إلى الخوف من بطش بني أمية في الأندلس بهم، لا محبة فيهم، لقرب المسافة بين بلادهم وبلاد الأندلس[٤] من هذا يتضح لنا أن ما قام به الحسن بن كنون ومن معه من الأدارسة من

---

(١)ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٢، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٢

(٢)أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ ، ص٢٢٩

(٣)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٢١

(٤)روض القرطاس، ص٩١

الولاء للأمويين لم يكن عن حب صادق، أنما كان مصانعة ورياء إذ كان الأدارسة يبغضون بني أمية ويترقبون فرصة للخروج عليهم(١).

وفي ذلك يقول ابن أبي زرع: "فلم يزل في طاعتهم (أي الحسن بن كنون)، قائما بدعوتهم (أي الأمويين) إلى أن قدم بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجي من إفريقية قاصدا المغرب، لأخذ ثأر أبيه، فقتل زناتة واستأصلهم وملك المغرب بأسره، وقطع أيضا منه دعوة المروانيين، وقتل أولياءهم، وأخذ البيعة على جميع بلاد المغرب لمعد بن إسماعيل، كما فعل جوهر قبله، فكان أول من سارع إلى بيعته ونصره وقتل أولياء المروانيين وقطع دعوتهم من بلاد المغرب الحسن بن كنون صاحب البصرة، وكشف وجهه في ذلك وعمل فيه جهده" (٢)

وبعد أن قطع الحسن بن كنون دعوة الأمويين ودعا للفاطميين اتخذ قلعة حجر النسر مقرا ومعقلا له وفي ذلك يقول صاحب مفاخر البربر: "وقطع الحسن الدعوة للأمويين وصير قلعة الحجر الدانية من سبتة معقلا له"(٣) ثم طمع الحسن بن كنون ومن معه من الأدارسة في الوثوب بأصحاب الخليفة الحكم المستنصر وحلفائه بالمغرب كاشفا بذلك النقاب عن نواياه

---

(١)محمد عبد الله عنان: الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، مطبعة مصـــر، ط١، ١٩٥٨م، ص١٥ ، سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٠٠

(٢)روض القرطاس، ص٩١

(٣)مجهول: ص٢٢

الحقيقية، وهي عداوته لحكام الأندلس من بني أمية، فخلع طاعتهم وقتل عمالهم ودعا للفاطميين[١] .

وقد كان الحسن بن كنون فظا غليظاً شديد الجرأة قاسى القلب قليل الشفقة، وكان إذا ظفر بأحد من أعدائه من جند الخليفة الحكم المستنصر أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرح من أعلى قلعته المسماه قلعة حجر النسر، فيهوي به إلى الأرض، فلا يصل إليها إلا وقد تقطع أربا[٢].

وعندما اتيحت الفرصة للحسن بن كنون قام بثورة عامة،تمكن خلالها من بسط نفوذه على معظم الأقاليم الشمالية الغربية من بلاد المغرب الأقصى، فاحتل طنجة وتطوان واصيلا، وسائر المنطقة الجبلية الممتدة شمال وادي لكوس ، واختار القلعة الشاهقة المعروفة بقلعة النسر أو حجر النسر في شمال شرق القصر الكبير مقر لقيادته[٣]مما أتاح له الهيمنة على مصائر الأمور في المناطق الشمالية من المغرب الأقصى.

يبدو أن الحسن بن كنون فتح هذه البلاد باسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، لكن المؤكد أنه كان يعمل لحسابه منتهزا انفاعس الحكم المستنصر عن التدخل العسكري، وعزوف المعز لدين الله عن أمور المغرب الأقصى والأوسط نظرا لانشغاله بالانتقال إلى مصر[٤]

---

(١)مجهول: المصدر السابق، ص٢٢، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥١، ابن أبـــي زرع: مصدر سابق، ص٩١، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ج٣، ص٢٢١

(٢)مجهول: مفاخر البربر ص٢٢، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ٩٤ السلاوى: مصـــدر ســـابق، ج١، ص١٨٧

(٣)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٩١

(٤)رحل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، واستخلف بلكين بن زبرى على إفريقية والمغـــرب، وأنزلـــه القيروان وسماه يوسف، وكناه أبا الفتوح انظر: المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبـــار=

هكذا نلاحظ أن الحسن بن كنون كان مذبذب الولاء، لأنه ما كان يجد خيرا في أي الطرفين (الفاطمي والأموي) ، وكان كل ما يعنيه هو أن يتخلص منهما، ويحتفظ باستقلاله وسيادته كاملة.

ونحن نؤكد هذه السياسة الإدريسية المستقلة ، ونرى أن ولاء الأدارسة لأي من الطرفين (الفاطمي والأموي) لم يكن إلا نتيجة الضغوط التي مارسَاها على الأدارسة.

ويبدو أن تأيد الحسن بن كنون للفاطميين هذه المرة، كان تأيدا حقيقياً حيث خطب على منابره للشيعة([1]) وهزم جيش الحكم المستنصر في أول مواجهة بين الطرفين، وذلك بعد رجوع بلكين بن زيرى من المغرب الأقصى إلى إفريقية([2]) .

سياسة الحكم المستنصر ضد الأدارسة:ـ

لما عاد بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجي إلى إفريقية([3]) ، ووقف الحكم المستنصر على تطور الحوادث بالمغرب الأقصى، أزعجه ذلك وأهمه واشتد غيظه، ووجد أن الفرصة سانحة لاحكام قبضته على بلاد المغرب ،

= الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م ج١، ص١٠٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٨م، ج١، ص٢٨٦، ابن خلدون : مصدر سابق، ج٦، ص٣١٧، ٣١٨

([1])ابن حيان: مصدر سابق، (ت حجي) ص٧٩

([2])إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الرباط، ط٣، ١٩٩٣م، ج١، ص١٠٦

([3])ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣١٦

وخاصة بعد أن غادرها الفاطميون، وأصبح الميدان خاليا أمام الأمويين لفرض سيطرتهم من جديد على البلاد([1]) .

١- حملة محمد بن القاسم بن طملس سنة ٣٦١هـ/٩٧١م:

وأمام هذه الأحداث الخطيرة التي أدت إلى تقلص النفوذ الأموي في بلاد المغرب وخروج بعض الثغور الهامة من أيديهم، رأى العاهل الأندلسي الحكم المستنصر أنه من الضرورة أن يحافظ على أمن وسلامة دولته، وذلك بالإسراع في معالجة الموقف باستئصال شوكة الأدارسة في هذه الناحية، وخرج بقراره هذا عن السياسة التقليدية المستترة وراء القبائل المغربية، إلى سياسة واضحة تقوم على التدخل المباشر في شئون العُدوة المغربية، للإبقاء على نفوذه فيها، واتخاذها خطا دفاعيا أماميا للأندلس من ناحية الجنوب([2]).

وبعد أن تخلص الحكم المستنصر من مشكلاته الداخلية والخارجية عمل على التدخل في المغرب، لكي يستعيد النفوذ الذي كان للأمويين في عهد أبيه ويؤدب الحسن بن كنون الذي دعا للشيعة، وفي ذلك يقول ابن حيان: "للذي بدا من نقض حسن بن كنون الحسنى... ونبذه للولاية وانحرافه إلى دعوة قرينه معد بن إسماعيل صاحب إفريقية، الممد له في الضلالة وانضوائه إليه واستدعائه من دنا منه من أحزاب ضلاله مستعينا بهم فيما اعتزم عليه من شقاق، وإعلائه بإيقاع الدعاء له على منابر عمله([3])

([1])ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩١، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٣١٨

([2])أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٠

([3])المقتبس (ت حجي) ص٧٩

من أجل ذلك بادر الخليفة الحكم المستنصر بتعبئة جيش جيد الإعداد والتنظيم لغزو المغرب الأقصى ومقاتلة الحسن بن كنون (١) ولم ينسى العاهل الأندلسي لتغطية موقفه هذا أن صبغ تدخله السافر بالصبغة الدينية، حيث تظاهر بمظهر حامي الإسلام والسنة النبوية من غي الشيعة(٢).

وفي شهر رمضان سنة ٣٦١هـ/٩٧١م دعا الحكم المستنصر القائد الوزير محمد بن القاسم بن طملس، وأمره بإعداد العدة للخروج إلى مدينة سبتة قائدا على ما يضمه إليه من طوائف الجند لمقاتلة الحسن بن كنون (٣).

وفي أثناء استقبال الخليفة الحكم المستنصر لقائده الوزير ابن طملس، أوصاه بوصية بليغة مفادها استعمال القسوة مع الحسن بن كنون، أما أتباعه فعليه أن يأخذهم باللين والرأفة ويقبل عذرهم إذا رجعوا تائبين. وفي ذلك يقول ابن حيان: "فتقدم في توصيته... واستعمال جهده وجده في مغاورة الفاسق حسن وإخماد ناره، وأمره متى أظهره الله تعالى على طائفة من أنصاره أو المقترنين به، أو غلب على أهل أرض ممن في طاعته، أن يأخذ بالعفو ويؤثر الصفح ويقبل واضح العذر ويحسن التجاوز" (٤).

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق، ص٧٩

(٢)ابن حيان: المصدر السابق، ص١١١، ١١٢، ١١٣

(٣)ابن حيان: مصدر سابق، ص٧٩، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥١، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٢، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٢، ٢٣، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٤، ٢٤٥

(٤)المقتبس (ت حجى) ص٧٩، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٥

وقد أمره بالإضافة إلى هذا "أن يستعين بمن دخل في طاعته ووفي ببيعته، وعهده على من أدبر عنه، فأن إقبال المدبر بعد إدباره وطاعة المطيع بعد عصيانه فتّ في أعضاد أهل المعصية ([1]) .

وأخيراً أمر الخليفة الحكم المستنصر قائده ابن طملس بأقامة كتاب الله وسنة رسوله في الأرض التي يتغلب عليها، ويمحو منها آثار الشيعة، ويعلي سنة الأئمة الراشدين([2]).

وبعد ذلك خلع الحكم على ابن طملس الهدايا والعطايا الثمينة والثياب الفاخرة، ثم خرج القائد إلى زملائه لتشاور معهم، ويشرف بنفسه على توزيع أعطية الجند الخارجين معه([3])

وبعد أن أتم قائد الجيش استعداده ، خرج وحوله عدد كبير من طبقات الجند وبين يديه من العدد والأثقال والأحمال ما يتجاوز الوصف([4])٠ وركب القائد الأندلسي البحر من ميناء الجزيرة الخضراء في النصف الأخير من شهر شوال سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، إلى مدينة سبتة، وفي الوقت نفسه وصل إليها قائد البحر عبد الرحمن ابن رماحس بالأسطول، وبذلك تكاملت وتكاتفت الجيوش والأساطيل بهذه المدينة المغربية، ومنها بدأ الهجوم معابرا وبحرا، فاتجه ابن طملس إلى مدينة تطوان فدخلها دون مقاومة إذ وجدها خالية من حاميتها٠ ثم عاد نحو الغرب إلى مدينة طنجة ليساعد قائد البحر عبد الرحمن

([1])ابن حيان: مصدر سابق، ص٨٠

([2])ابن حيان: المصدر السابق، ص٨٠

([3])ابن حيان: المصدر السابق، ص٨٠

([4])ابن حيان: مصدر سابق ص٨٠

بن رماحس، الذي سبقه إليها بأسطوله ([1]) فدعا أهلها إلى الطاعة والعودة إلى ما فارقوا به الجماعة، فأساءوا الرد وسارعوا إلى حربه، وكان ذلك بتحريض من الحسن بن كنون، الذي كان بداخل المدينة يشد من أزرهم ، ويقوى عزائمهم ويلهب حماسهم، فعند ذلك خرجت جموع البربر لقتال جيش الحكم المستنصر، فوقعت عليهم الهزيمة، وقتل كثير من أصحابه، وعندما رأى الحسن بن كنون أن الهزيمة حلت به وبأصحابه، فر هاربا تحت وابل من النبال مع بعض أصحابه وخاصته، تاركا أمواله وعتاده، وفي ذلك يقول ابن حيان: "وفر هاربا في خاصته من أصحابه لا يلوى على أحد، ولم يعرج على ما كان له ولهم بالمدينة من أموال وأمتعتهم" ([2])

ولما شاهد أهل طنجة فرار زعيمهم الحسن بن كنون استسلموا بمدينتهم لقائد الأسطول الأندلسي عبد الرحمن بن رماحس، وخرج شيخهم ابن الفاضل مع أبنائه، وجماعة من وجوه أهل طنجة إلى ابن رماحس، يطلبون الأمان وهم ينادون الطاعة لله ولأمير المؤمنين المستنصر بالله فأخذه الجند وقدموه إلى قائد الأسطول ابن رماحس، فلما مثل بين يديه نظر في الأرض مستسلما، ثم استهل بالدعاء لأمير المؤمنين، وطلب الأمان لنفسه، ولأهل بلدته وصون الحريم، فأعطاهم إياه، ودخل عبد الرحمن بن رماحس المدينة دخول المنتصر في شوال سنة ٣٦١هـ/٩٧١م وأباح للجند نهب المدينة، فأخذ الجند يتجولون خلال ديار طنجة ([3])

([1])ابن حيان: المصدر السابق، ص٨٠، ٨١، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٥، أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٠، ٢٣١

([2])ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٥، ابن حيان: المقتبس (ت حجي) ص٨٩

([3])ابن حيان:مصدر سابق، ص٨٩، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٥ أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣١

وبعد أن تمكن ابن رماحس من فتح طنجة جلس ببابها وعليه درعه وبيمناه سيفه، وفي يساره درقته، ومن مكانه كتب إلى الخليفة الحكم المستنصر يخبره بالفتح، فسر الخليفة بهذا النصر، وخلع على من أخبره مائة دينار وثياب فاخرة (١) .

أما القائد محمد بن القاسم بن طملس فقد تعقب فلول الحسن بن كنون الذي لجأ إلى جبل حصين يدعى جبل الريح فتحصن فيه، وفي هذا المكان دارت معركة قصيرة بين الطرفين ، هزم فيها الحسن بن كنون، ولم ينقذه من الموت إلا سرعة جواده وخفة حمله، واستولى القائد الأندلسي على الجبل، ثم عرج ابن طملس في طريقه إلى مدينة دلول فتمكن من فتحها هي الأخرى دون عناء، ثم أمر بهدم أسوارها وإحراق بيوتها فتركها خالية موحشة (٢)

وبعد ذلك توجه ابن طملس نحوَ ساحل البحر المحيط إلى مدينة أصيلا ليؤدب أهلها الذين نقضوا طاعة الأمويين في الأندلس، فدخلها وأعاد ولاءهم للخليفة المستنصر، ووجد في مسجدها منبرا جديدا مرسوما باسم الشيعي المعز لدين الله الفاطمي، فاحرقه بعد أن خلع من أعلاه اللوح الذي يحمل اسم صاحب إفريقية، وأرسله مع كتاب الفتح إلى قرطبة(٣).

وبعد ذلك أرسل القائد الأندلسي ابن طملس كتابا إلى الخليفة الحكم المستنصر يخبره فيه أنه التقي مع الحسن بن كنون، ودارت بينهما حرب شديدة انتهت بهزيمته، وكان القتال فيه من ضحى النهار إلى اصفرار

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق، ص٩٠

(٢)ابن حيان: مصدر سابق ص٩٠، ٩١، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٦

(٣)ابن حيان: المقتبس (ت حبى) ص٩٠، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٦

الشمس، وقتل من شيعته خلق كثير([1]) ففرح الخليفة بذلك، وأرسل أحمال الأموال إلى قائده الوزير ابن طملس، مكافأة له على الجهد المبذول والنتيجة التي حققها، وقد كانت هذه المكافأة من الضخامة بحيث أن الأمر قد احتاج إلى خمسة وعشرين جملا لحملها([2]) .

وفي الوقت نفسه وجه الحكم المستنصر إلى المغرب بعض العلماء الذين يتمتعون بثقته، وهما محمد بن مفرج قاضي مدينة ريه، وأبو عبيد القاسم بن خلف الجبيرى قاضي مدينة طرطوشة. للوقوف على أحوال المغرب، وتأليف قلوب الناس ، ونشر الدعوة الأموية في المغرب، وبعد أن أتما مهمتهما رجعا إلى قرطبة ليقدما ملاحظاتهما إلى الخليفة الحكم المستنصر([3])

من هذا يتضح أن الخليفة الحكم المستنصر أراد أن يكون غزو المغرب الأقصى هذه المرة، ليس مجرد عمليات عسكرية تستهدف احتلال قواعد استراتيجية، بل غزوا فكريا وسياسيا وعسكريا وفي نفس الوقت قرر أن يملأ الفراغ الذي تركه الأدارسة والفاطميون في هذه المنطقة، ولكن هذا المخطط الطموح سوف يعترضه عقبات لا يستهان بها على الأقل فيما يتصل بالناحية العسكرية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه رغم الانتصارات العسكرية التي أحرزها الجيش الأندلسي على الأدارسة في المغرب الأقصى، إلا أنه لم يستطع

([1])انظر نص الكتاب الذي أرسله ابن طملس إلى الخليفة الحكم المستنصر، ابن حيان: المصدر السابق ص٩٠، ٩١

([2])ابن حيان: المصدر السابق ص٩١

([3])ابن حيان: مصدر سابق، ص٩١

القضاء عليهم، حيث أن هذه الانتصارات لم تكن سهلة ميسورة، فقد استنزفت من حكومة قرطبة الكثير من الوقت والجهد والأموال والأنفس، وقد أفاض ابن حيان في شرح مدى النزيف الاقتصادي الذي كلف الدولة الأموية في حربها ضد الأدارسة فقال: "فقاد خيول الأندلس إليهم، وربط أكابر قواده بثغرهم، وغطى البحر بينه وبينهم بأساطيل الأموال، والأسلحة، والعدد، والأطعمة التي أفرغها على ممارسيهم وتحويل المستمالين من أهل بلدهم عليه، حتى قهرهم، فاستنزلهم من صياصيهم([1]) وقد أشار ابن حيان في موضع آخر من كتابه أن الحكم المستنصر سير إلى القائد محمد بن القاسم بن طملس بالمغرب مع صاحب الرسائل والبريد الأموال اللازمة لتغطية نفقات الجيش الأموي المرابط في أرض المغرب والحرب الدائرة مع الأدارسة([2]).

وظلت الإمدادات المادية والعسكرية ترد على المغرب الأقصى من الأندلس، في كل وقت، فابن حيان يشير إلى أن الحكم المستنصر دعا كلا من القائد قيصر وسعد الجزيرى، ورشيق من وجوه موالي أبيه عبد الرحمن الناصر، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن الشيخ، وعبد الرحمن بن يوسف بن ارمطيل، وعبد الرحمن بن أبي جوشن. وامرهم بالتأهب للغزو في الأسطولين المجهزين في ثغري ألمرية وأشبيليه، وخلع عليهم كثيرا من الخلع وأجزل عليهم الصلات الوافرة وزودهم بالأموال وانفذهم إلى المغرب([3])

كما أرسل الخليفة الحكم المستنصر ثقته محمد بن أبي عامر إلى المغرب الأقصى، حاملا معه الأموال والحلي والخلع ليوزعها على المغاربة

([1])المقتبس (ت حجى) ص١٩١

([2])المقتبس (ت حجي) ص٩١

([3])ابن حيان: المصدر السابق ص٨١

الذين استمالت نفوسهم إلى بني أمية بالأندلس، وولاه في نفس الوقت قاضي قضاة المغرب ، فضلا عن المناصب التي يتقلدها مثل خطتي الشرطة الوسطى والعليا والمواريث وقضاء كورة أشبيلية(١)

وبرغم الهزائم المتلاحقة بالحسن بن كنون، لم يسكت على ذلك، بل رجع يعبد حسابه من جديد ويعد العدة، فجمع فلول جيشه وأعاد تنظيم قواته، وسار إلى لقاء جيش الحكم المستنصر مرة أخرى، فالتقي الجمعان في مكان يعرف بفحص مهران (٢) باحواز طنجة ، وهناك حالف الحسن بن كنون حُسن الطالع، فدارت الدائرة على جند الأندلس، وقتل عدد كبير من الفرسان والمشاة، قدرهم ابن حيان بنحو ألف وخمسمائة ، وفي مقدمتهم قائدهم الوزير محمد بن القاسم بن طملس، وكان ذلك في ٢٣ من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، وفرت فلول الأندلسيين إلى مدينة سبتة فامتنعوا بها، وكتبوا للخليفة الحكم المستنصر يطلبون النجدة، ويصفون له ما لحق بهم من قتل وهزيمة(٣) .

ويبدو أن الحسن بن كنون كان تحت تصرفه وإمرته جيش كبير من الأدارسة والموالين لهم ولكن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن هذا الجيش، وإلا

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق ص١٢٣

(٢)ابن حيان: المصدر السابق، ص٩٦ مجهول: مفاخر البربر، ص٢٣، بينما يسميه ابن أبي زرع: فحص بني مصرح أنظر: روض القرطاس، ص٩١

(٣)ابن حيان: المصدر السابق، ص٩٦، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٦، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥١، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٩١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٨٣، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ج٣، ص٢٢١، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٣، عنان: مرجع سابق، ص١٥

لما أقدم على خوض معركة حول مدينة طنجة، التي تقع غير بعيد عن قواعد تموين جيش الخليفة الحكم المستنصر .

وعندما علم بهزيمة قواته في المغرب الأقصى، ومقتل قائده الوزير محمد بن القاسم بن طملس، غضب وصمم على استرداد كرامته ونفوذه في هذه المنطقة، ويظهر ذلك جليا من خلال مراسلاته وتصريحاته إلى قواده المرابطين في سبتة وطنجة يأمرهم بعدم التفاوض مع الحسن بن كنون، ويحثهم على مقاتلته ومقاتلة أعوانه دون هواده([1])

كما أنه لم يغفل توصيتهم بالا يستعملوا العنف مع القبائل المغربية المنضوية تحت نفوذ الأدارسة، بل من الأفضل أن يسلكوا سياسة اللين معهم واستمالتهم إلى صفوفهم ، وذلك بإيفاد دعاة مهرة إليهم يقيمون بين ظهرانيهم حتى تطمئن نفوسهم إلى الدعوة الأموية([2]) ، كما أمرهم بالإكثار من تجنيد الإتباع وحملة الأخبار، وبث الجواسيس ، وإذكاء العيون في كل مكان حول الأدارسة لمعرفة أخبارهم أولا بأول، ولم ينسا أن يذكرهم بالتكاتف والتعاون جميعاً من أجل تقليم أظافر الأدارسة، وإخضاعهم إلى نفوذه لإعادة سلطانه على بلاد المغرب الأقصى([3]) .

ولم يكتف بذلك بل لجأ إلى أسلوب آخر فأتهم الحسن بن كنون، بالإلحاد، وبالفسق والمروق، وقد ذكر ذلك ابن حيان هذه الأوصاف في غير موضع من كتابة([4]) هذا إلى جانب رشوة القبائل ودعوتهم إلى الطاعة. كل

([1])ابن حيان: المقتبس (ت حجى) ، ص٩٦، ٩٧

([2])ابن حيان: المصدر السابق ص٩٨، ٩٩

([3])ابن حيان: مصدر سابق ص٩٧

([4])ابن حيان: المصدر السابق، ص٧٩ ، ٩٦

هذه الوسائل عملت عملها فانفض كثير من البربر عن الحسن بن كنون ، وخرجت الجموع الغفيرة من المغرب معلنين الطاعة للحكم المستنصر([1]) كما تخلى عنه بعض أفراد البيت الإدريسي([2]) .

وفي هذه الأثناء زاد عدد رؤساء البربر الذين تخلوا عن الحسن بن كنون، وقد بلغ عدد الذين قصدوا قرطبة لإعلان الطاعة والولاء نحو ستين فارسا، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، وبالطبع قد استقبلوا بالحفاوة والتكريم، وأغدق عليه الحكم المستنصر الكثير من الأموال والعطايا فقد صب المال في أطنابهم صبا" على حد تعبير ابن حيان([3])

أما المؤرخ ابن حزم فقد ذهب أبعد من ذلك، فقد ذكر أن الحسن بن كنون ادعى النبوة بإحدى كور المغرب الأقصى، وهي كوره تادلا([4]) ، فهل يمكن لنا أن نصدق أن أحد أفراد البيت العلوي الهاشمي الذين قضوا حياتهم في المطالبة بحقهم في الخلافة من الأمويين ثم من العباسيين، ينحدر إلى هذا المستوى، ويعلن عن نبوته، ويسم نفسه وأهل بيته بهذه السمة التي تسقط حقهم، وتصرف الناس عنهم، ويدمغهم بالكفر والإلحاد.

والجدير بالذكر أن العاهل الأندلسي لم يكتف بالجيوش والأساطيل المرابطة في الثغور المغربية فحسب، بل أرسل جيوشاً وأساطيل مساعدة

([1])المصدر السابق، ص٩٦

([2])منهم القاسم بن يحيى بن القاسم بن إبراهيم بن محمود الحسنى المسنى جنون، وهو ابن أخي حسن بن كنون، وابن عمه أبو العيش بن ميمون بن القاسم الحسنى، انظر: ابن حيان: المصدر السابق ، ص١٠٩

([3])ابن حيان: المقتبس (ت حجى) ص١١٥

([4])جمهرة أنساب العرب ، ص٢٩

قواته التي هزمت في موقعة فحص مهران في شهر ربيع الأول سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على مدى الاهتمام البالغ الذي يوليه للحوض الغربي للبحر المتوسط، وإصراره على التحكم فيه، وقد لاحظ المؤرخ القرطبي ابن حيان ذلك بقوله: "ولم يزل الخليفة الحكم سالكا سبيل والده الخليفة الناصر، السامي بقدره إلى ملك فرضه العدوة سبتة، المرهوبة من تقحم أهلها ومن وراءهم من البرابرة عليه، فحازها دون من كان قبله من آبائه، استظهارا على ضبط المجاز عليه وإليه، واستطالة بفضل قومه، واشتداد سلطانه" (١)

ويبدو أن الخليفة الحكم المستنصر قد رمي بكل ثقله وإمكانياته المادية والبشرية، من أجل ذلك فالنصوص التاريخية ذكرت أنه عطل في سبيل حروبه المغربية، معظم جيوشه المرابطة في الثغور الشمالية المتخامة لحدود الممالك المسيحية الأسبانية،وجردها من كبار القواد، على الرغم من المخاطر التي تهدد دولته من هناك، وبعث بهم إلى العُدوة المغربية(٢)

أما الحسن بن كنون الذي حقق نصرا عسكريا على جيش الحكم المستنصر ، لم يغتر بانتصاره العسكري، فهو يعرف أن التوازن مفقود بين موارد قرطبة من المال والرجال،وبين ما يستطيع أن يرجوه من قبائل البربر من المجهود والولاء لذلك فقد أراد أن يحول تفوقه إلى مكسب سياسي ، لذا أراد أن يتم الصلح بينه وبين الأمويين وتبادل الرهائن لكسب المعركة كلها في صالحه، وبعث إلى أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس، برغبة الحسن بن كنون في الصلح إلى الخليفة الحكم المستنصر، غير أن الخليفة لم يقبل

---

(١)المقتبس، ص ، ١٨٩ ، ١٩٠

(٢)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٢، ٢٣

ذلك العرض ، وأرسل إلى قواده في بلاد المغرب،يوصيهم بالاستمرار في جهاد الحسن بن كنون ، والعمل على معرفة أخباره، وبعث العيون والجواسيس لتتبع حركاته(١)

وقد كتب الخليفة الحكم المستنصر إلى قائد ثغر أصيلا عبد الرحمن ابن يوسف بن أرمطيل،ردا على ما أبداه الحسن بن كنون من رغبته في الصلح • وقد نقل إلينا ابن حيان نص هذه الرسالة فقال: "أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك الذي تذكر فيه ما أتاك به حمو بن محمد وحنون بن سروح ويحيى السراقة من أتباع الملحد – أهلكه الله – عند خروجك لملازمة الطلائع على عادتك من استئذانهم إياك في القرب منك والمشافهة لك، وإنك أجبتهم إلى ذلك ، وفهمت عنهم ما أبلغوك من رغبته في الإنابة ، وقد ضرب الله تعالى بينه وبينها بسور من الخذلان قطع به دونها في حينها وأوات قبولها، ليقضي الله أمر كان مفعولا، وكيف يذهب الآن هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر وفي دينه مستبصر ولكم في كل أيامه محارب هذا هو الضلال والمحال عين المحال وسبب الخيال، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره وغير من أصرَّ إصراره، وتمادى تماديه إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه وهو خير الفاتحين ٠٠٠٠" (٢) .

وقد كرر الخليفة الحكم المستنصر رفضه لعرض الحسن بن كنون في المصالحة ، ويظهر ذلك جليا في رسالة أرسلها إلى أحد قواده في العُدوة المغربيه يقول فيها: "وإن الله تعالى أحل حسن بن كنون من المعصية والتعطيل لحقوقه، ومفارقة أولياء الطاعة محل من لا تُسمع له كلمة، ولا

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق، (ت حجى) ص٩٧

(٢)المقتبس، (ت حجى) ص٩٧، ٩٨

يوفـــق منـــه بأنابـــة، وأميـــر المـــؤمنين فـــي محاكمتـــه مستنصـــر، وفي مجاهدته ومطالبته حتى يمكنـــه الله منـــه بحولـــه وبظفـــره وينصـــره عليه" (١) .

ويبدو أن الخليفة الحكم المستنصر تراجع عن موقفه هذا برفضه للمصالحة، وأراد أن يحقق للحسن بن كنون رغبته في السلم، بل وفي تركيز حكمه على المغرب أيضاً ، ولكن بشرط أن يعلن التوبة، ويتراجع عن موقفه السياسي ومذهبه الديني، وقد جاء ذلك في رسالة أخرى أرسلها العاهل الأندلسي إلى قواده في بر العُدوة ، ويبدو أن هذه الرسالة كتبت بعد محاولات أخرى للصلح قام بها الحسن بن كنون.

وفي ذلك يقول ابن حيان: "وأما ما دعا إليه الآن من المراجعة والتحكيم في النفس والولد والمال والبلد فكلمة حسنة لا يدع أمير المؤمنين قبولها، إذا صدقها فعل، وحققها برهان... لكن ذلك لا يكون بفعله معروفة مكشوفة، كما كان فعله ظاهرا بقتله الجند صبرا، وقذفهم في النار الجاحمة ، فإن كان معتقدا ما قاله أو منطويا على صحته مؤثرا له راغبا في استجزال حظه من حسن رأي أمير المؤمنين ، ورضاه وتوطين بلدة لولده، وإن مذهبه تمحيص ما فرط، وتكفير ما سبق والإصحار بموالاته وانقياده، أخذ البيعة على أهل عمله، وخرج مطهرا لنفسه إلى باب سُدنة، فإنه إذا أتي خرج مما دخل وفاز بالقدح المعلي، والمنزلة الكبرى عنده"(٢)

من هذه الرسالة يتضح لنا أن الشروط التي اشترطها الخليفة الحكم المستنصر لمصالحة الحسن بن كنون، تبدو سهلة ويسيرة، فهو لا يطلب منه

---

(١)ابن حيان :المقتبس (ت حجى) ص٩٧

(٢)المقتبس: ص١٠٠

أقل من أن يأخذ البيعة له على رعيته، وهو في زمن الحرب، ويسلم نفسه بعد ذلك إلى رحمة أمير المؤمنين، مضافا إلى ذلك رهائن من الولد، وضمانات من المال ، غير أن الحسن بن كنون لم يقبل هذه الشروط، لأنه لم يكن منهزما في الحرب، بل كان هو المنتصر، ويتفاوض وهو في مركز القوة.

وقد استمرت هذه المفاوضات التي باءت بالفشل، والتي كانت تجرى عن طريق الوسطاء ، قرابة شهر، حيث أنها بدأت في أوائل جمادي الأولى (أي بعد مقتل القائد ابن طملس بنحو شهرين وانتهت في أخر الشهر نفسه، ومنذ ذلك الوقت بدأ الخليفة الحكم المستنصر يستعد لشن حرب شعواء للقضاء على الحّسن بن كنون.

(٢) حملة غالب بن عبد الرحمن الناصري سنة ٣٦٢-٣٦٣هـ/٩٧٣-٩٧٤م:

بعد هزيمة جيش الخليفة الحكم المستنصر، ومقتل قائده محمد بن القاسم بن طملس سنة ٣٦١هـ/٩٧١م في موقعة فحص مهران كما سبق القول، تحصن من نجا منهم بمدينة سبتة، وكتبوا إلى الخليفة يستغيثون به، فاستاء الخليفة لذلك، وشعر بفداحة الخطر، وبادر بحشد جيش جديد ندب لقيادته مولاه وكبير قواده (١) غالب بن عبد الرحمن الناصري(٢). البعيد

---

(١)في إسناد الخليفة الحكم المستنصر قيادة الجيش إلى القائد الأعلى دليل واضح على أنه كان يخشى من الحسن بن كنون أن يشتد عوده، ويقوى سلطانه في المغرب، مما يعرض نفوذ الأمويين للخطر في هذه البلاد.

(٢)غالب بن عبد الرحمن الناصري: هو أحد أمراء البحر، ومولى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وفي عهد الحكم المستنصر وصل غالب إلى مكانة لم يصلها أي قائد أندلسي آخر. إذ أسند إليه الخليفة القيادة العليا للجيوش والأندلسية ، وأصدر مرسوما بذلك سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، تشريفا له، وفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م ، أصدر الخليفة مرسوما آخر "شرفه بما لم يشرف به خليفة من خلائف الأندلس أميرا ولا قائدا سواه. بأن قلده سيفين من ذخائر سيوفه وسماه ذا=

الصيت المعروف بالشهامة والنجدة والدهاء([1])

وكان غالب بن عبد الرحمن الناصري في ذلك الوقت مقيما في مدينة سالم ([2]) حيث كانت وظيفته الرئيسية قيادة جيوش الثغور([3])

وفي آخر شهر جمادي الأخرة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م أرسل الخليفة الحكم المستنصر إلى الوزير والقائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن الناصري يستدعيه لحرب الحسن بن كنون "الذي خلع الطاعة واثخن في قتل الجند، وانتحل ولاية الشيعي المعز لدين الله الفاطمي" ([4]) فجاء غالب بن عبد الرحمن بمن معه من مرابطي هذا الثغر، ونزلوا بفحص السرادق (شرقي قرطبة)، وظلوا به يومين، نظم خلالها غالب جيشه وقام بالتفتيش عليه، ثم

=السيفين، وقد وصفه ابن حيان بقوله: "شيخ مواليه وكبير قواده، وسيف انتقامه الوزير القائد الأعلى أبا تمام غالب بن عبد الرحمن شيخ الحروب وفارس الخطوب، ومهون الكروب، ومذلل القروم" وظل على ذلك حتى قتل سنة ٣٧١هـ/٩٨١م انظر ابن حيان: مصدر سابق (ت حجى) ص٢٤ هامش ٣، ص٢١٩، ٢٢٠

([1])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٠٢، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٣، ابن خلدون: مصدر سابق ج٦، ص٤٥١، ابن الخطيب أعمال الأعلام ج٣، ص٢٢١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٨٣، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٠، ابن عذارى: مصدر سابق ج٢ ص٢٤٦

([2])مدينة سالم: مدينة جليلة في منخفض من الأرض بينها وبين وادى الحجارة خمسون ميلا شرقا وبينها وبين مدينة شنتبريه ثلاث مراحل، ويكثر بها الشجر والماء. انظر: ياقوت : مصدر سابق ج٣ ص١٧٢ ، الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م ج٢، ص٥٥٣

([3])جيوش الثغور: أي الجيوش المرابطة على الحدود الشمالية، وكان في العادة جيشا ضخما معدا أحسن إعداد، ومدربا أكمل تدريب. انظر: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد(القاهرة، ج٢، ١٩٩٧م) ص٣٣٥

([4])ابن حيان: مصدر سابق، (ت حجي) ص١٠٢

تقدم على رأس الجيش في حركة استعراضية آثارت حماسة الجمهور، بما اتسمت به من الترتيب والتنظيم في شوارع قرطبة الرئيسية، ثم اتجه إلى مدينة الزهراء في احتفال كبير للقاء الخليفة،حيث أشرف الخليفة بنفسه على استكمال تجهيز الجيش وتعبئته([1])

وأمده بالجند الكثيف والعتاد الضخم وبأموال كثيرة لاستمالة القبائل المغربية، وأمره بالمسير نحو المغرب لقتال الأدارسة، واستنزالهم من معاقلهم ، وأن يطهر المغرب من كل القوى المناوئة لبني أمية([2]) .

وقال العاهل الأندلسي لغالب الناصري عند وداعه : "سريا غالب من لا أذن له في الرجوع إلا حيا منصورا أو ميتا فمعذورا، وأبسط يدك في الإنفاق، فإن أردت نظمت للطريق بيننا قنطار مال" ([3]) وظل غالب بجيشه في قرطبة عدة أيام([4]) . ثم رحل إلى المغرب الأقصى في شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م ([5]) .

يبدو أنه استغرق وقتا طويلا في الأندلس، لإعداد جيشه وتنظيمه قبل أن يعبر إلى العُدوة المغربية، وفي خلال هذه الفترة تلقي الخليفة الحكم المستنصر رسالة من قواده المرابطين في المغرب، تفيد بأنهم فتحوا مدينة

([1])المصدر السابق، نفس الصفحة.

([2])ابن أبي زرع: مصدر سابق ص٩١، ٩٢، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥١، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٣، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: ج٣، ص٢٢١

([3])مجهول: المصدر السابق، ص٢٣، وقريبا من هذا المعنى انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج٦، ص٤٥١، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٢٢١، ابن أبي زرع: المصدر السابق ص٩٢

([4])ابن حيان: مصدر سابق، ص١٠٢

([5])ابن حيان:المصدر السابق، ص١١٦

أصيلا التي كان قد استرجعها الحسن بن كنون، وأنهم قد التقوا معه في معركة انتهت بهزيمته ومقتل عدد كبير من جنوده ، وأسر رئيس لوائه وعدد من قواده. فرد عليهم الخليفة برسالة عاجلة أمرهم فيها بتجميد العمليات الحربية حتى يلحق بهم الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري، الذي هو في طريقه إلى العُدوة المغربية ([1])ثم طلب منهم العمل على معرفة أخبار الحسن بن كنون، وبث الجواسيس لتتبع حركاته([2])

وفي نفس الوقت سجلت قرطبة انتصاراً سياسياً ذا بال بمقدم جنون ابن إدريس صاحب عدوة الأندلس من فاس، ورسول من صاحب عدوة القرويين ليعلنا طاعتهما لأمير المؤمنين الحكم المستنصر والقيام بدعوته([3]) .

وفي أوائل شهر شعبان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م خرج صاحب الشرطة العليا قاسم بن محمد بن القاسم بن طملس على رأس فرقة من الجند مداد لغالب الناصري([4]) كما أرسل الخليفة الحكم المستنصر الأموال الوفيرة (ثمانين ألف دينار) لتوزيعها على قواده وجنده المرابطين في طنجة واصيلا للترفيه عنهم بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك([5])وقد عزز الخليفة هذا المبلغ بمبلغ آخر قدره عشرة آلاف دينار لتوزعه على سبيل الهدايا على رؤساء القبائل المغربية الخارجين عن طاعة الحسن بن كنون " استئلافا لهم

([1])ابن حيان: مصدر سابق، ص١٠٢، ١٠٣، ابن عذارى: مصدر سابق، ص٢٤٦

([2])أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٢

([3])ابن حيان: مصدر سابق (ت حجي) ص١١٧، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٦، ٢٤٧

([4])ابن حيان: مصدر سابق ص١٠٦

([5])المصدر السابق نفس الصفحة.

واستصفاء لبصائرهم، هذا فضلاً عن فاخر الثياب الفخمة المطرزة، والسيوف المحلاه بالذهب والفضة للخلع عليهم (١) .

وفي خلال الفترة التي كان غالب بن عبد الرحمن فيها في الأندلس قبيل رحيله إلى المغرب الأقصى، كتب إلى الخليفة الحكم المستنصر برغبته في استطحاب – محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبني الشاعر – إلى المغرب ، ليستعن به لسابق خبرته بأحوال بلاد المغرب، فأخبره الخليفة بموافقته وقال له: "وإن أمير المؤمنين عهد بتوجيه محمد ابن حسين الطبني إليك على ما رغبت فيه، فقد وقع اختيارك منه على خيار وثقة في جميع أحواله، مع نفاذ دربته وصدق ممارسته لما يرمي إليه٠٠٠ ولن يألوك عونا وتزيينا ، إن شاء الله" (٢)ثم استحضر الخليفة محمد بن حسين الطبني، وأمره بالخروج مع غالب بن عبد الرحمن إلى العُدوة المغربية، والتصرف في شئونه ومؤازرته في تدبيره(٣) لقد كان هذا الطلب من غالب الناصري يدل على ذكاء وحنكة سياسية، لأن وجود شاعر إلى جانب الجيش ضروريا ليشيد بالانتصارات ، ويرفع معنويات الجيش٠

فلما استكمل غالب بن عبد الرحمن الناصري حشوده خرج في جيش جرار مزود بآلات الحربية محملا بالكثير من الثياب الفاخرة، بالإضافة إلى الأموال الكثيرة٠ وذلك في ١١ من شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ/ ١٥ يوليو سنة ٩٧٣م٠ وعبر بهذا الجيش الجرار البحر من ميناء الجزيرة الخضراء إلى ميناء طنجة ، ولكنه صادفته عاصفة قوية اضطرته إلى العودة من حيث

---

(١)المصدر السابق ص١٠٨، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧

(٢)ابن حيان: مصدر سابق، ص١٠٨، ١٠٩، ابن عذارى: مصدر سابق ج٢، ص٢٤٧

(٣)ابن حيان: المصدر السابق، ص١٠٩

أتي فبقي هناك إلى أن تحسن الجو وهدأ البحر ، فاجتاز المضيق مرة أخرى إلى طنجة، ونزل بمرس اليم المعروف بباب القصر على مقربة من طنجة • في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ/٢٦ يوليو ٩٧٣م (١)

وعندما علم الحسن بن كنون بقدوم غالب بن عبد الرحمن الناضري، وعظيم أهبته واستعداده ، أخلى مدينة البصرة، وفر بمن معه من أتباعه وأهله وأمواله، وذخائره(٢) ، وعسكروا في الوادي بين جبل مهران وجبل الكرم(٣) .

وفي نفس الوقت تحرك قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بأسطوله من مدينة طنجة إلى مدينة أصيلا، كي يتعاون مع الأسطول الأندلسي المرابط هناك، وبالتالي يكون بالقرب من القائد الأعلى للجيوش الأندلسية في المغرب – غالب الناصري – وعندما علم الخليفة بذلك سر لهذه الحركة، وبارك صواب التدبير في اجتماع الأسطوليين(٤).

وأخذ غالب الناصري يطارد الأدارسة في معاقلهم ، ويتتبعهم من حصن إلى آخر في الجبال الوعرة، ونجح في ذلك أيما نجاح حيث استطاع أن يحاصرهم في جبل الكرم وجبل مهران• وكان الحسن بن كنون قد حصن جبل مهران، وجعل عليه ابنه وابن عمه بينما ضبط جبل الكرم بنفسه لمنع الجيش الأموي من السيطرة على نهر المصارة(الواقع بين جبلي مهران

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق، (ت حجى) ص١١٥، ١١٦

(٢)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٢

(٣)ابن حيان: المصدر السابق، ص١١٦

(٤)ابن حيان: المصدر السابق، ص١١٦

والكرم)٠ ورغم تعلق الأدارسة بالجبال فإن غالبا ناوشهم، وقتل منهم الكثير، ولاذت البقية بجبل الكرم([1]).

وسار غالب بن عبد الرحمن الناصري إلى حصن الكرم، وكان الحسن بن كنون قد تحصن به، ولما أدرك غالب استحالة الاستيلاء عليه لجأ إلى حيلة ذكية، وهي استمالة أهل حصن الكرم، وكانوا من بربر كتامة، ونجح في تأليبهم على الزعيم الإدريسى الحسن بن كنون، ثم مدهم بالفرسان والرجال والبنود والطبول والأسلحة، فثاروا على الأدارسة في حصن الكرم([2]).

وأمر القائد الأعلى غالب الناصري بربر كتامة بمهاجمة الحصن من مكان حدده لهم، ثم تحرك غالب ببقية جيشه، وحاصر الحصن من مكان آخر، فأحاط الكتاميون بالحصن من جهة ، وأحاط غالب به من جهة أخرى، وشددوا حصارهما له٠ فلما رأى الحسن بن كنون ذلك، لم يتمالك نفسه، وركب جواده، وهرب مع خاصته وصهره صاحب مدينة البصرة محمد بن كنون وعلى بن خلوف وغيرهما من حاشيته إلى قلعة حجر النسر، واستولى غالب الناصري على كل ما تركه الحسن بن كنون من أمتعة وأقوات وأسلحة، ودخل غالب حصن الكرم، وكان ذلك في ١٩ من ذي القعدة سنة ٣٦٢هـ/ ٢١ أغسطس ٩٧٣م([3]).

وقد وجد غالب في سجن هذا الحصن عددا كبيرا من السجناء من أصحاب الأدارسة ومن وجوه القبائل المغربية، كان ابن كنون قد ارتهنهم

([1])ابن حيان: مصدر سابق ، ص١٢٤، ١٢٥

([2])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٣٤

([3])ابن حيان: مصدر سابق (ت حجى) ص١٣٤

عنده، وأوثقهم بالحديد، فأطلق غالب سراحهم، كذلك ضم إلى صفوفه الكثيرين من أتباع الحسن بن كنون الذين سارعوا بإعلان الطاعة والولاء للأمويين، ثم ترك غالب على الحصن ألف فارس وخمسمائة من الرجالة لضبطه وحمايته، ثم عاد غالب إلى محلته بالمصارة ([1])

ثم أرسل غالب إلى الخليفة الحكم المستنصر كتاب تهنئة بالفتح([2]) فرد عليه الخليفة بخطاب يشكر فعله ويحمد مقامه، ويحذره من اقتراب فصل الشتاء ويقول له: "وليس يخفي عليك أن الشتاء بين يديك، دونك، وربما تعذر ركوبه فاجعل الطعام ذخيرتك وحفظه تجارتك فالأموال بحمد الله موفورة، واحتمالها في كل وقت متمكن ، فمن مذهب أمير المؤمنين إخراج خازن من قبله بألف ألف دينار إلى سرته بقراها هناك بالقرب منك فيسهل كل وقت انفاد الحاجة منها إليك فأسكن إلى ذلك، واحتط في الطعام جهدك، ووطن على الصبر نفسك، ولا تمنها برجوع إلى بيتك حتى يقطع الله دابر الفاسقين، ويفرق ملأ الملحدين الضالين الذين صاروا حزبا للغوى وإلبا معه على المسلمين" ([3]).

وبهذه المناسبة وفدت الوفود على الخليفة الحكم المستنصر والشعراء لمدحه وتهنئته بالنصر على عدوه، ومنهم الشاعر محمد بن شخيص الذي مدح الخليفة ، وذكر فتح حصن الكرم فقال:

لقد حلَّ بأس الله بالكرم الذي غدا وهو في حزب الضلال بلاقع

([1])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٣٥

([2])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٣٥، ابن عذارى: مصدر سابق ، ج٢، ص٢٤٧

([3])ابن حيان: مصدر سابق ص١٣٥

فلو حله غيلان نادى طلولـــــــة هل الأزمن اللائي مضين رواجع

وما حجر النسر المنيع بزعمـــــه منيع وهل حصن من الله مانـــع

فلو طار فوق الأرض أو غار تحتها لما خال أنّ المنتأى عنك واســـع

وما يضع الأدبار من أنت رافـــعُ ولا يرفعُ الإقبال من أنت واضـــع

وقد علم الإسلام ما أنت منفـــق وفي نصر من تسعى وعمن تدافع

جمعت بما فرقت شمل جميعنـــا فأنت بتفريق الذخائر جامـــع([1])

وقد بعث الخليفة الحكم المستنصر بالأموال إلى غالب الناصري كصلات للمنضمين إليه من أصحاب الحسن بن كنون، وأمره بتوزيعها عليهم حسب مكانتهم ورتبهم، وقرن بها فاخر الكسوة وعددا كبيرا من السيوف المحلاة بالذهب والفضة([2])

ثم استدعى العاهل الأندلسي صاحب الثغر الأعلى يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي من قاعدته سرقسطة([3]) في ذي الحجة سنة ٦٢هـ/٩٧٣م بمن معه من رجال الثغر ثم أضاف إليه قوة كبيرة أخرى من المقاتلين الأندلسيين، وذلك لمؤازرة غالب بن عبد الرحمن في الأراضي المغربية، وكان هذا الجيش مزودا بالعتاد والسلاح، هذا بخلاف الأموال والهدايا من الكسوة

([1])ابن حيان: مصدر سابق، رت حجي) ص١٣٧

([2])ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧

([3])سرفسطة: قاعدة من قواعد مدن الأندلس، كبيرة القطر، واسعة الشـوارع والرحـاب حسنة الديار والمساكن، وهي على ضفة النهر الكبير، ويكثر بهـا الفاكهـة. انظـر: الإدريسى مصدر سابق، ج٢، ص٥٥٤، الحميرى: مصدر سابق، ص٣١٧ ، ياقوت: مصدر سابق، ج٣، ص٢١٢، ٢١٣

الفاخرة والسيوف المحلاة بالذهب والفضة، لتقديمها إلى حلفاء بني أمية في المغرب والمنحازين إلى دعوتهم من أصحاب الأدارسة (١) غير أن غالب تخوف من عدم تمكنه من توفير المال والطعام لكثرة من وفد عليه من الأدارسة وبني خرز، فأرسل إلى الخليفة المستنصر بذلك فرد عليه الخليفة بقوله: "وقد كفاك الله الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام، فموادها موصولة بك متلاحقة ليديك، حتى يفتح الله في الظالم القاطع بعدله، ولو أتي ذلك على بيوت الأموال المترعة، وأهراء الأندلس المغتصبة، فلو لم يبق منها غير ما في الأهراء الخاصة بقرطبة، لاحتمل إليك جميع ما فيها... ولا ستسهل أمير المؤمنين التحرك إلى الجزيرة، واتخاذها وطنا ومستقرا، ولأجاز لمجاهدة هذا الفاسق (يفصد الحسن بن كنون) كل جندي في ديوانه مع كل متصرف في مملكته" (٢)

ويتضح لنا من هذه الرسالة أن الخليفة الحكم المستنصر كان جادا في حرب الأدارسة ومصمما على قطع دابرهم من بلاد المغرب مهما كلفه ذلك من نزيف اقتصادي وبشرى.

ثم أرفق الخليفة بكتابة هذا كشف بأسماء كبار رجال الأدارسة، وغيرهم من وجوه البربر المنحازين لطاعة الامويين، وبيانا مفصلا بالأموال والهدايا المرسلة لكل واحد منهم(٣) .

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق، ص١٢٩، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٧، مجهول: مفاخر البربر: ص٢٣، أحمد مختار العبادى: ص٢٣٣

(٢)ابن حيان: المصدر السابق، ص١٢٤، ١٢٥

(٣)ابن حيان: مصدر سابق ، ص١٣١

ثم أمر يحيى بن على الأندلسي بالتأهب للخروج إلى بلاد المغرب برجاله القادمين معه من العدوة، لتعضيد الجيش الأندلسي ومساعدته هناك، وغمره بالخلع والمال فاجتاز يحيى المضيق حيث انضم إلى غالب بن عبد الرحمن الناصري(١)

هكذا اجتمعت للقائد: الأعلى غالب بن عبد الرحمن الناصري هذه الحشود الهائلة من العساكر الأندلسية والمغربية، فتقدم بهم نحو مدينة البصرة، بعد أن بث العيون والجواسيس، وأخرج الأموال من أهلها من بربر كتامة، وهي السياسة التي أوصاه بها الخليفة الحكم المستنصر، فانتهز أهل البصرة فرصة خروج محمد بن كنون المتحصن بها لبعض شئونه ، وترك خاله محمد بن عبد السلام "الذي كان ظهيراً له ومدبرا لشأنه لا يقْدم أمرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته". فنقضوا عليه واحتزوا رأسه وأرسلوها إلى غالب بن عبد الرحمن، يستصرخون به ويدعونه للمسير إلى مدينتهم ، فلَبىَّ غالب النداء، وسار إليهم من محله بالمصارة، وابقى يحيى بن محمد التجيبي في حصن الكرم للأشراف على تجديد دفاعاته، ودخل غالب الناصري مدينة البصرة في شهر المحرم سنة ٢٦٣هـ/أكتوبر ٩٧٣م (٢)

وأرسل القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن الناصري كتاب تهنئة بفتح مدينة البصرة، للخليفة الحكم المستنصر، كما أرفق بكتابه هذا كتاب أهل البصرة الذي سبق أن أرسلوه إليه لاستدعائه لدخول مدينتهم، مع قند الذي حمل معه أيضا رأس محمد بن عبد السلام فأستقبل الخليفة قندا استقبالا رسميا وشعبياً في قرطبة ، وخرج الناس لمشاهدة رأس الإدريسي محمد بن

---

(١)ابن حيان: المصدر السابق، ص١٣٠

(٢)ابن حيان: مصدر سابق، ص١٤١، ١٤٢، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧

عبد السلام، ثم قعد له الخليفة يسأله عن أخبار المغرب وأحوال جنده ، فأحسن الجواب، فسر الخليفة، وأمر بصلته مائة دينار، وكسوه وسيف وفرس جواد بسرج ولجام فخمي الحلية وأمره بالعودة إلى مولاه غالب بن عبد الرحمن الناصري([1])

والجدير بالذكر أن حاكم البصرة محمد بن كنون عندما خرج منها ترك زوجته، فوقعت في أسر القائد غالب الناصري، فأكرمها ومن معها وألحقها بوالدها الحسن بن كنون معززه مكرمة في قلعة حجر النسر([2]).

وفي أواخر شهر المحرم سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م، استخلف غالب بن عبد الرحمن على البصرة عبد الرحمن بن محمد بن الليث، وسار إلى منازل قبيلة رهونة الموالية للحسن بن كنون، فتمكن من إخضاعها بدون قتال "ولما رأي القوم نهوض العسكر إليهم نزلوا بأجمعهم خاضعين مهطعين، لائذين بالطاعة راغبين في العافية ، فأوسعهم العفو، وقبل منهم الإنابة وبذل لهم الأمان" وبذلك أمكن للوزير القائد غالب بن عبدالرحمن أن يعلن للخليفة الحكم المستنصر أنه صار إلى الطاعة جميع أمراء المغرب، وعامة قبائل البربر، ولم يبق منشقا عليهم سوى الحسن ابن كنون([3]) الذي صار من ضيق أمره في كرب وغمة،وذلك لأن غالب الناصري أغدق على رؤساء البربر ومن معهم من الجند الكثير من الأموال، ووعدهم بالجاه والمال والمنزلة الرفيعة إن هم تخلوا عن مساندة الحسن بن كنون، فاستجابوا له ([4]) وقد عملت هذه

([1])ابن حيان:مصدر سابق، ص١٤٢، ١٤٣

([2])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٤٣، ١٤٤

([3])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٤٤، ابن عذارى: مصدر سابق،ج٢، ص٢٤٨

([4])ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥٢، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٢

الوسيلة عملها فنفض عنه كثير من البربر، وخرجت جموع من المغرب معلنين الطاعة والولاء الخليفة الحكم المستنصر، ولم يبق مع الحسن بن كنون إلا خاصته ورجاله حسب قول ابن أبي زرع ([1]) .

وبعد ذلك بأيام استولى الجيش الأندلسي بقيادة غالب بن عبد الرحمن الناصري، على الجبل المعروف بجبل العيون (المتصل بقلعة حجر النسر) الذي وضع غالب لحصاره ألف رجل، وبذلك أصبح الحسن بن كنون سجين قلعته محاطا به من جميع الجهات ولا سبيل له للحصول على التموين الضروري لمن بقي معه من أنصاره وحاشيته([2]) .

وعندما اشتد الحصار على الحسن بن كنون فارقه أصحابه حتى أهله وأولاده، وأخوته ، فكان يخرج عليه في اليوم الواحد أكثر من سبعمائة رجل على حد قول ابن حيان ([3]) مما يدل على أن غالب بن عبد الرحمن قد ضرب حصارا محكما على الحسن بن كنون، الأمر الذي جعل أهله يتركونه فارين بأنفسهم، وكان آخرهم ولده المنصور مع أخته وأمهما الذين دخلوا في طاعة الأمويين ، بل أن المشرف على سجن الحسن بن كنون تواطأ مع من كان في سجنه من الرهائن الذين ارتهنهم من بعض القبائل، فأطلق سراحهم، وفر معهم إلى غالب بن عبد الرحمن فضمه إليه وأحسن إليهم([4]) .

([1])روض القرطاس، ص٩٢

([2])ابن حيان: مصدر سابق ص١٤٦

([3])المقتبس (ت حجى) ص١٤٨

([4])ابن حيان: مصدر سابق، ص١٤٨، ١٤٩

استسلام الحسن بن كنون للأمويين:

وفي تلك الأثناء كان الحسن بن كنون قد أجهده الحصار حتى أشرف على الهلاك فاضطر في النهاية إلى طلب الأمان على نفسه وأهله وماله، وينزل إليه فيسير معه إلى قرطبة، فأجابه غالب الناصري إلى ذلك وعاهده عليه([1]) فأعلن الحسن بن كنون طاعته للحكم المستنصر في جمادي الآخرة سنة ٣٦٣هـ/مارس ٩٧٤م. ودخل الوزير القائد غالب ابن عبد الرحمن الناصري قلعة حجر النسر ودعى في مسجدها للخليفة الحكم المستنصر في يوم الجمعة ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٦٣هـ/٢٠ مارس ٩٧٤م ([2]) ووصلت تلك الأنباء السارة إلى الخليفة الحكم المستنصر بعد ذلك بأيام قليلة فأعلنها بالمسجد الجامع بقرطبة ([3])وقد علق ابن عذارى على ذلك بقول: "وفيها (أي سنة ٣٦٣هـ) ورد الخبر السار على المستنصر بالله بإذعان الحسن بن كنون ودخوله في طاعته" ([4])

وبعد الصلاة جلس الخليفة كعادته في ساباط المقصورة، ومن حوله الوزراء وكبار رجالات الدولة، وأعلن أمامهم خضوع الحسن بن كنون، وقرأ عليهم كتاب غالب الناصري يهنئه بهذا النصر العظيم، وأن الخطبة قد قامت

([1])ابن حيان:المصدر السابق، ص١٥٠، ابن خلدون: مصدر سابق ، ج٦، ص٤٥٢، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٢، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٣، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ج٣، ص٢٢٢

([2])ابن حيان: مصدر سابق ص١٥٠، ١٥١، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٨

([3])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٥١، ابن عذارى: المصدر السابق، ج٢ ص٢٤٨، ليفي بروفنسال: تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمة عبد الرؤوف اليمني وآخرون،ط(المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٠م)، ص٤٤٤

([4])البيان المغرب ، ج٢، ص٢٤٨

له في قلعة حجر النسر، وأن أخر أمراء الأدراسة الحسن بن كنون قد بعث اثنين من أبنائه هما عليا والمنصور في رفقه ابن عمه إبراهيم بن حسن الحسنى إلى قرطبة "فعند ذلك استبشر الوزراء وبشروا وهنوا واغتبطوا وأعلنوا بشكر الله" وفي ذلك الوقت أمر الخليفة درى ابن الحكم (المعروف بالهماز) بوضع الترتيبات وإعداد الهدايا لاستقبال هؤلاء الأمراء، فامتثل هذا الموظف للأمر، فأعد الآلات الرفيعة والثياب الفاخرة واللجم المقرعة والسروج النفيسة، وذلك بالإضافة إلى العطاء وغير ذلك من الأشياء الضرورية، ثم سار وفد من رجال القصر استقبال هؤلاء الضيوف لدى وصولهم وكأنهم ملوك يقومون بزيارة لعاصمة الأندلس، وليسوا ممثلي أمير غلب على أمره([1]).

وبعد ذلك أصدر العاهل الأندلسي الحكم المستنصر كتابا تلي على سائر منابر المساجد بالأندلس ، ينوه فيه بالانتصارات التي أحرزها على الحسن بن كنون، وإرغامه وأهله الأدارسة على قبول طاعته ، مع التنويه بفضل قائده الوزير غالب بن عبد الرحمن الناصري([2])

هكذا احتل غالب بن عبد الرحمن قلعة حجر النسر، بعد حروب طويلة، ومعارك مريرة، استنزل بعدها العلويين من معاقلهم وأخرجهم منها ولم يترك بها أحد.

وبعد أن أعلن الحسن بن كنون طاعته للحكم المستنصر سار غالب الناصري إلى مدينة فاس، واستولى عليها وعين محمد بن على بن قشوش على عُدوة القروين، وعبد الكريم بن ثعلبة على عُدوة الأندلسيين، وأعلن

([1])ابن حيان: مصدر سابق، ص١٥٠، ١٥١، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، صـ ٢٤٨

([2])عن نص هذا الكتاب أنظر: ابن حيان: المصدر السابق ص١٧٨: ١٨٢

أهلها طاعتهم وبيعتهم له([1])٠ وكانت هذه البيعة شرطا لموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، وإتباع السنة والجماعة وفق مذهب الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه) ، ونبذ ما عداه من مذاهب الشيعة([2]) ٠ وفي ذلك يقول ابن حيان: "وألزموا أنفسهم الطاعة، والتزموا الإيمان المؤكدة ، وذلك في صحة من عقولهم وأبدانهم وكفى بالله شهيدا" ([3])

ولم تقتصر الطاعة والبيعة على أهل فاس، بل أعلنت معظم قبائل المغرب الطاعة للحكم المستنصر، وكان من بين الذين أرسلوا بالولاء والبيعة على بن خلوف أمير قبائل غُمارة، الذي كتب كتابا بالبيعة وأرسل معه ابنه رهينة لضمان الطاعة والولاء وكان ذلك في شوال سنة ٣٦٣هـ/ يوليه ٩٧٤م ([4])

وبعد أن أعلن أهل مدينة فاس الطاعة والبيعة إلى أمير المؤمنين الحكم المستنصر أرسل أمير عُدوة الأندلسيين وأمير عُدوة القرويين رسالة إلى غالب الناصري تفيد استجابة أهل فاس "إلى جميع ما دعوا إليه من إمحاص الطاعة، والقيام ببيعتهم التي أعطوها وعقدوها، بما يحتملون عليه من أداء طاعتهم من الدخول في الجماعة وإتباع السنة والعمل بمذهب مالك بن أنس إمام أهل المدينة(رضي الله عنه) وإقامة النافلة في شهر رمضان، وتوقفهم عن العمل بما كانت ضلال الشيعة زرعته عندهم من البدع والتبديل

([1])ابن حيان: مصدر سابق ص١٧٤، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٢، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥٢، محمد عبد الله عنان: مرجع سابق ص١٧

([2])انظر نص بيعة أهل فاس لغالب بن عبد الرحمن في ابن حيان: المصدر السابق، ص١٧٤، ١٧٥

([3])ابن حيان: المصدر السابق، ص١٧٥

([4])ابن حيان: مصدر سابق، ص١٧٤

والتحريف ، وأنهم تقبلوا جميع ما أمروا بالتزامه ، ودخلوا فيه أفواجا، ونبذوا ما عداه شاكرين لله تعالى على هداه (١).

هكذا تمكنت الحملة الأندلسية بقيادة غالب الناصري من استئصال شأفة الأدارسة وطاعتهم وتحويلهم من المذهب الزيدي إلى المذهب المالكي، وظلت مدينة فاس عاصمة الأدارسة بيد بني أمية حتى استولى عليها زيرى بن عطية المغراوى(٢).

وبإخماد الثورة التي قام بها الحسن بن كنون ضد بني أمية، استطاع الحكم المستنصر أن يضمن سيطرته على مضيق جبل طارق، وان يحمي بلاده من أي خطر شيعي أو زيري يتهددها من ناحية العُدوة المغربية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه رغم الانتصارات العسكرية العديدة التي أحرزها الجيش الأندلسي على الأدارسة، إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليهم قضاء مبرما، حيث أن هذه الانتصارات لم تكن سهلة ميسورة، فقد استنزفت من حكومة قرطبة الكثير من الوقت والجهد، والأموال والأنفس، التي أفاض ابن حيان في شرحها بقوله : "فقاد خيول الأندلس إليهم، وربط أكابر قواده بثغرهم، وغطى البحر بينه وبينهم بأساطيل الأموال والأسلحة والعدد والأطعمة التي أفرغها على ممارسيهم،وتحويل المستمالين من أهل بلدهم عليهم حتى قهرهم" (٣)

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق، ص١٧٤

(٢)ابن أبي زرع: مصدر سابق ص٩٢، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٨٤

(٣)ابن حيان: مصدر سابق، ص١٩١

وقد أسف الخليفة الحكم المستنصر في أخريات أيامه على ما أنفقه من مال، وما ضحى به من رجال في هذا المقصد، مما أدى إلى ضعف ثغوره الشمالية، وكانت أولى بالعناية وأحق بالمراقبة الدائمة(١)

والجدير بالملاحظة هنا أن العاهل الأندلس الحكم المستنصر قد وفق تماما في اختيار الوقت المناسب والظروف المواتية لعبور جيوشه إلى بلاد المغرب الأقصى، ففي الوقت الذي كانت فيه الجيوش والأساطيل الأندلسية تعبر المضيق، كان المعز لدين الله الفاطمي متوجها بجيشه وأساطيله إلى مقره الجديد بمصر(٢).

وكان خليفته على إفريقية والمغرب بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجي مشتغلا في هذا الوقف بتوطيد أركان دولته الناشئة بإخماد الفتن والثورات التي نشبت ضده في مدينة القيروان، وهذا مما لاشك فيه قد ساعد القوات الأندلسية في مهمتها، ففتح المجال أمامها لنشر الدعوة الأموية في المغرب الأقصى دون أن تتعرض له صنهاجة(٣) وقد لاحظ ذلك صاحب مفاخر لبربر بقوله: "فنزل قصر معد بالمنصورية، وتمت له المملكة (أي بلكين)، وتعجل بالخروج نحو المغرب في شعبان من سنة ٣٦٢هـ، وقد عظم عساكره وبعد صيته ، فقضي الله أن اضطربت بعده القيروان فتوقف بلكين من أجلها إلى أن أنجلت عنه العماية مع انقضاء سنة ٣٦٤هـ"(٤).

---

(١)حسين مؤنس: مرجع سابق، ص٣٣٧، ٣٨٨

(٢)عن رحيل الفاطميين إلى مصر. أنظر: المقريزى: مصدر سابق، ج١، ص١٠٠ ، ابن خلدون: مصدر سابق، ص٣١٧، ٣١٨، ج٦، ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص٨٢، ٩٦، ابن خلكان: مصدر سابق، ج١، ص٢٨٦

(٣)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٦، ٢٧، ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣١٨

(٤)مجهول: ص٢٧

رحيل الحسن بن كنون إلى الأندلس:

وفي أواخر سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م عبر شيخ الحروب وفارس الخطوب إلى الأندلس، تاركا شئون المغرب الأقصى للقائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي تنفيذا لرغبة الخليفة الحكم المستنصر([١])وكان معه الحسن بن كنون وسائر شيعته من زعماء الأدراسة، ووصل غالب ابن عبد الرحمن إلى قرطبة في أول المحرم سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م، وأنزل الأشراف الأدارسة المرافقون له في الدور التي أعدت لهم في قرطبة وأرباضها، وخرج الجند من مدينة الزهراء لتلقي غالب الناصري، والمسير بين يديه وعلى رأسهم عدد من الفتيان ورؤساء الخدمة، ودخل غالب قرطبة في عسكره، وفي ركبه الإشراف الأدارسة، ونزل بمنية الناعورة. ويصف لنا ابن حيان موكب غالب الناصري وهو في طريق للقاء الخليفة الحكم المستنصر بقصر الزهراء، ومن كان يحف به أو يتتبعه من الفرسان المدرعين، وأهل الخدمة، والصقالية، والعبيد والرماه، وغيرهم من أصحاب الطبول والبنود والرايات، ودخل غالب في موكبه الفخم مدينة الزهراء من باب السدة، ونفد إلى القصر، بينما أنزل الأدارسة الذين معه في المجالس القبلية بدار الجند، وكان الخليفة الحكم المستنصر قد جلس لاستقباله في المجلس الشرقي المشرف على الرباض، وقد حف به الأخوة وجلس بعدهم الوزراء وأصحاب الشرطة والقضاة والفقهاء وسائر أهل الخدمة([٢])

([١])ابن حيان: مصدر سابق، ص١٨٣

([٢])لمزيد من التفاصيل عن رحيل الحسن بن كنون إلى الأندلس، وما أستقبل به من كرم وحفاوة، انظر: ابن حيان:مصدر سابق، ص١٩٤، وما بعدها، مجهول: مفاخر البربر ص٢٤، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٨، محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص١٧.

وكان يوم دخولهم إلى مدينة الزهراء أجمل أيام الدولة، لما ظهر فيه من فخامة الملك وكثرة الجمع، حيث أمر الخليفة الحكم المستنصر الناس بالخروج إلى لقائهم، وركب في جمع غفير من وجوه رجال الدولة، وسلم الحسن بن كنون على الخليفة، فأقبل عليه وعفي عنه ووفى له بالعهد، وأجزل له ولرجاله العطاء وأوسع عليهم الجراية، ووسع لهم الأرزاق، وأثبت من حاشيتهم في الديوان سبعمائة من أنجاد المغاربة يعدون بسبعة آلاف وأسكنه قرطبة، وأقام الحسن بن كنون وعشيرته في كنف الحكم المستنصر في آمن وسلام(١).

وقد عفى الحكم المستنصر عن الحسن بن كنون، ووفى له بالعهد على الرغم من موقفه من جند الأمويين وما فعله بهم. وفي ذلك يقول صاحب مفاخر البربر: "وكان يأتي من قبيح المثلة وسوء الهلكة بأشياء منكرة احتملها له الحكم وفاء بذمته، على أنه كان ينبغي مساءته" (٢)

وظل الحسن بن كنون وشيعته من الأشراف الأدارسة في قرطبة حتى سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م، وقد وفي الحكم المستنصر وأوسع له ولرجاله في العطاء، (٣) ثم حدث خلاف وشقاق بين الخليفة وضيفه، ولم يكن هذا الشقاق يتصل بالملك، أو بشأن من شئون السياسة والحرب، بل كان بشأن قطعة عنبر كبيرة الحجم غريبة الشكل ظفر بها الحسن بن كنون في بعض سواحل

---

(١)ابن حيان: مصدر سابق، ص٢٣٠، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥٢، السلاوى: ج١، ص١٨٤، مجهول: مفاخر البربر، ج٢٦، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٢٢

(٢)مجهول: ص٢٤

(٣)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣

مملكته السابقة، وظل يحتفظ بها كتذكار شخصي لأيام عظمته ومجده الزائل(١)

ولما بلغت أخبار قطعة العنبر إلى الخليفة الحكم المستنصر طلب منه أن يقدمها إليه ليضمها إلى كنوزه وذخائره، على أن يعوضه عنها بما يرضيه، ولكن الحسن بن كنون رفض هذا الطلب، وامتنع عن تسليم قطعة العنبر إلى الحكم المستنصر(٢)

وقد كان هذا الموقف كافيا لإثارة غضب الخليفة ولحلول نقمته حيث استولى على جميع أمواله وسلبه كل ما يملك بما في ذلك قطعة العنبر(٣)

وتقول الرواية أن هذه القطعة من العنبر بقيت في خزائن الحكم المستنصر وخلفائه من بعده، إلى أن استولى على بن حمود الحسنى على الملك في الأندلس ، ودخل قرطبة وسكن القصر، وفتح خزائنه، بعد ما ظفر ببني أمية، فوجد ضمن ما وجد من التحف والذخائر عنبرة الحسن ابن كنون، وقد عقبتها الأيام، حتى صارت إلى أيدي الأدارسة أصحابها(٤)

ومن أجل ذلك دب الشقاق بين الحكم المستنصر وضيفه الحسن بن كنون وقد تذكر العاهل الأندلسي سوء خلق الحسن وشدته في معاملة الأسرى

---

(١)المصدر السابق، ص٩٣، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٥، ابن الخطيب: أعمال الأعـــلام، ج٣، ص٢٢٢

(٢)ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٩٣، مجهول: المصدر السابق، ص٢٥، ابن خلـــدون: مصدر سابق ج٦، ص٤٥٤، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٨٤، ١٨٥

(٣)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٥، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، السلاوى: مصـــدر سابق، ج١، ص١٨٤، ١٨٥

(٤)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٥، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، السلاوى: مصـــدر سابق، ج١، ص١٨٥

الأندلسيين أثناء الحرب بينهما وفي ذلك يقول صاحب مفاخر البربر: "وكان الحسن بن كنون هذا جاهلا متهوراً فظا شديد الجرأة قاسي القلب"(١)

حيث كان يلقي بالأسرى من جند الأندلس من أعلى قلعته الشامخة فيصلون إلى الأرض أربا(٢)

ومن جهة أخرى كان الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى(٣) ، يتوجس شراً من وجود الحسن بن كنون وشيعته، ويستثقل نفقاتهم، وينصح بإخراجهم من الأندلس، فرأى الخليفة الحكم المستنصر أن يبعدهم عن مملكته وأن يتخلص من نفقاتهم الباهظة، وأن يبعث بهم إلى المشرق(٤).

---

(١)مجهول: ص٢٨

(٢)مجهول: مصدر سابق، ص٢٤

(٣)الحاجب جعفر بن عثمان المصطفى:هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر المصحفى، ينتمى إلى بطن من بطون البربر من بلنسيه، تولى أبوه عثمان أيام الخليفة الناصر تأديب ولده الحكم، وهكذا نشأت بين الحكم وابن مذبة مودة عميقة ، فلما أسندت إلى الحكم ولاية العهد قدم جعفر في الأعمال، واستخدمه في الكتابة، ثم ولاه الخليفة الناصر بعد ذلك حكم جزيرة ميورقة، ولما تولى الحكم الخلافة استوزره، وعد من أعظم رجال بلاطه، وضم إليه بعد ذلك، ولاية الشرطة، ثم تولى بعد ذلك منصب الحجابة (أي رئاسة الوزراء) وأصبح أول رجل في الدولة، واجتمعت لديه سائر السلطات، وكان المصحفى من أساطين الكتاب والشعر، ولما آلت الخلافة إلى هشام المؤيد تقلد حجابته، وتصريف أمور الدولة، غير أن المنصور محمد بن أبي عامر قوى عليه، فاعتقله وضيق عليه، وصادر أملاكه وحبسه ثم قتله سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م، انظر : ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص٢٥٧: ص٢٩٧، ابن سعيد: مصدر سابق، ج١، ص١٨٧، ابن خاقان: تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس، تحقيق مديحه الشرقاوى (مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ٢٠٠١م) ص٥٦ وما بعدها.

(٤)ابن خلدون: مصدر سابق،ج٦، ص٤٥٤، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٨، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق، ص١٨

رحيل الحسن بن كنون إلى مصر:

ظل الحسن بن كنون ومن معه من الأشراف الأدارسة مقيما في قرطبة حتى عام ٣٦٥هـ/٩٧٦م، ثم ساء ما بين الحسن بن كنون وبين الحكم المستنصر، وقد سبق الإشارة إلى أسباب ذلك فأسر الحكم المستنصر بإجلائهم جميعا من الأندلس، فركبوا البحر من مرفأ ألمرية، ومنها إلى تونس، ثم رحل الحسن وشيعته من تونس إلى مصر عن طريق البر[١]

وقبل رحيل الحسن بن كنون من الأندلس، أخذ الحكم المستنصر عليه العهود والمواثيق الغلاظ، بعدم القيام بأي عمل مضاد من شأنه أن يسبب قلقا لحكومة قرطبة في المغرب[٢] وفي ذلك يقول صاحب مفاخر البربر: "وشرط عليهم أن يصاعدوا إلى المشرق، وأخذ على زعيمهم بذلك العهد، وأن لا يكون له إلى المغرب عرجة، وأنه متى نكث بالذمة منه بَرئَ، وأطلق لهم مالا استعانوا به على سفرهم، ووكل بهم من أخرجهم على طريق ألمربة، فعبروا البحر هناك سنة ٣٦٥هـ، فساروا نحو مصر [٣]

وفي مصر نزل الحسن بن كنون وبنو عمه الأدارسة في كنف خليفتها العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥- ٣٨٦هـ/٩٧٥- ٩٩٦م) فأكرمه ووعده

---

(١)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، مجهول: مفاخر البربر، ص٢٨، ابن خلدون: مصدر سابق ج٦، ص٤٥٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٢٣، ليفي بروفنسال: مرجع سابق، ص٤٤٥، دوزى: المسلمون في الأندلس (ترجمة حسن حبشى الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ ج٢، ص٧٩

(٢)دوزى المرجع السابق، ص٧٩، خليل إبراهيم السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م) ص٢٠١

(٣)مجهول: ص٢٨

بالنصرة والأخذ بالثأر، واستعادة عرش أجداده[١] واحتفظ بهم كسلاح يمكن استخدامه ضد نفوذ الأمويين في المغرب الأقصى في الوقت المناسب[٢]

وظل الحسن بن كنون مقيما في مصر معززا مكرما حتى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، وفي تلك السنة اعتقد الفاطميون أن الاضطرابات التي تجتاح الأندلس، بعد وفاة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م، وتوليه ابنه هشام المؤيد كافية بأن ترخي من قبضتهم على المغرب، ومن غير الحسن بن كنون يستطيع أن يسترجع هذه الولاية البعيدة[٣]

هكذا نجد أن إخراج الأدارسة من الأندلس، كان مما استبد به الوزير جعفر بن عثمان المصحفى على سائر الوزراء ، في حين كان يرى سائرهم إبقاءهم تحت سمع وبصر حكومة قرطبة، ولاشك أن هذه السياسة الخاطئة قد جرت على الخلافة الأموية بالأندلس المتاعب، بل كانت من الأسباب التي أدت إلى نكبة جعفر المصحفى فيما بعد[٤]

وفاة الحكم المستنصر:

في أثناء إقامة الحسن بن كنون في مصر اشتد المرض على الخليفة الحكم المستنصر، وشلت حركته، فانتقلت السلطة إلى وزرائه وحاشيته ونسائه، فاضطربت شئون الدولة وطمع الأسبان في الشمال، وكثر اعتداؤهم على الثغور الإسلامية المتاخمة لحدودهم، عند ذلك رأي وزير الحكم

---

(١)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥٤، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، عنان: مرجع سابق، ص١٨

(٢)أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٤

(٣)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣

(٤)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٨، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٢٣، هامش١

المستنصر جعفر المصحفي ضرورة استدعاء القائد يحيى ابن محمد بن هاشم التجيبي من المغرب ليسد به الثغور الشمالية[١] وأقام مكانه أميرين من أصل أندلسي هما جعفر بن على الأندلسي، وأخيه يحيى لخبرتهما بشئون المغرب وأهله من جهة، ولشدة عدواتها لبني زيرى من جهة أخرى[٢] وذلك بالتعاون مع زعماء قبائل زناتة من مغراوة وبني يفرن ودفع لهما أموالا كثيرة لتقديمها إلى زعماء القبائل المغربية، وارفق معهما رجالهما وإتباعهما وإرسلهما إلى المغرب، فسلم لهما القائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي مقاليد الأمور ثم قفل عائدا إلى الأندلس، وقد استطاع جعفر بن على الأندلسي أن يضبط أمور المغرب، وأن ينجح في اكتساب زعماء القبائل المغربية ويدعم مركزه[٣]

وقد استطاع جعفر بن على الأندلسي ومن معه من قبائل المغرب في دفع هجمات بلكين بن زيرى بن مناد المتكررة على أراضيهم، وتمكنوا من تثبيت أقدام الأمويين في المغرب بقية أيام الحكم المستنصر[٤]

---

(١)مجهول:مفاخر البربر، ص٢٧

(٢)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٧، لابن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وعرض على جعفر بن على الأندلسي حكم ولاية إفريقية باسم الفاطميين، وذلك عندما عزم الرحيل إلى مصر، ولكن جعفر اشترط عليه أن يكون شبه مستقل في ولايته، فرفض المعز ذلك وعين على إفريقية بلكن بن زيرى زعيم قبيلة صنهاجة، وقد آثار هذا العمل غضب جعفر بن على الأندلسي ففر إلى الأندلس ومعه أخوه يحيى حيث خدما في بلاط الحكم المستنصر . انظر: ابن الآبار: مصدر سابق، ج١، ص٣٠٥، وما بعدها، أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٤

(٣)مجهول:المصدر السابق، ص٢٧

(٤)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٧ ، أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٤

وفي شهر صفر سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م توفى الخليفة الحكم المستنصر فخلفه ابنه هشام المؤيد (٣٦٦- ٣٩٩هـ/٩٧٧- ١٠٠٩م) [١] ولما كان هشام بن الحكم صبيا صغيرا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، قام بتدبير أمور دولته وزير أبيه السياسي العبقري المشهور محمد بن أبي عامر، فاستقل محمد بن أبي عامر بالملك واستبد بالأمر وبني لنفسه مدينة سماها الزاهرة، ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة، ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر والضرب باسمه على السكة والطراز [٢].

أحوال المغرب الأقصى بعد وفاة الحكم المستنصر:

بعد وفاة الحكم المستنصر وتولية ابنه هشام، شغلت بلاد المغرب معظم اهتمام المنصور محمد بن أبي عامر وسار على نفس سياسة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصري وابنه الخليفة الحكم المستنصر، في السيطرة على بلاد المغرب واصطناع بربر زناته في المغرب الأقصى حتى يضمن ولاءهم ، وقد دخلت في الطاعة الأموية كل البلاد المغربية الممتدة إلى سجلماسة جنوبا، وإلى ولايتي تلمسان وتاهرت شرقا[٣]

وقد ساق لنا صاحب مفاخر البربر بيانا شافيا من السياسة التي انتهجها ابن أبي عامر في المغرب فقال: "واقتصر محمد بن أبي عامر لأول قيامه على ضبط مدينة سبتة وما والاها بجند السلطان الأندلسى، وقلدها كبار

---

(١)ابن الآبار: مصدر سابق، ج١، ص٢٠٠، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٥٢

(٢)المقري: مصدر سابق، ج١، ص١٩٧، ١٩٨، ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٥٨، ابن الكرديوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، نشره أحمد مختار العبادى، صحيفة الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد١٣، ١٩٦٥- ١٩٦٦، ص٨٢

(٣)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٩، أحمد العبادى في تاريخ المغرب والأندلس ص٢٥٠، ٢٥١

رجاله من أصحاب السيوف والأقلام على حسب الحاجة إلى تغيير طبقاتهم، وعول في ضبط ما وراء ذلك على ملوك زناتة، ووعدهم بالجوائز والخلع، وأكرم وفودهم ببابه وأثبت من رغب منهم الإثبات في ديوانه فأحبوا محمدا وجدوا في المحاماة عن الدولة" (١)

وفي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م، ظهرت قوة آل خزر المغراويين الزناتين، بحيث امتد سلطانهم على أغلب أعمال المغربين الأوسط والأقصى، ثم زحف – خزرون بن فلفل بن خزر الزناتي أحد زعماء زناته الداخل في طاعة الأمويين في الأندلس، على رأس جيش من زناتة نحو مدينة سجلماسة، فاستولى عليها بعد أن قتل أميرها أبو محمد المعتز بالله من أولاد الشاكر بالله المدرارى، واستولى على ذخيرتها من الأموال والسلاح ومحا بذلك أثر دولة بني مدرار السجلماسين منها، وأقام الدعوة بها للخليفة هشام المؤيد، وهي أول دعوة أقيمت على منابر سجلماسة، وكتب خزرون بن فلفل بذلك إلى العاهل الأندلسي يخبره بما تم له من انتصار على بني مدرار، وبعث له برأس المعتز بالله، فنسب ذلك إلى المنصور ابن أبي عامر، الذي كافا خزرون بن فلفل على ذلك، وعقد له على مدينة سجلماسة ، فلم تزل بيده إلى أن هلك، وصارت في يد ابنه وانودين إلى انقضاء الدولة(٢)

ولقد ترتب على استيلاء مغراوة على سجلماسة أن زحف بلكين بن زيرى ابن مناد زعيم الدولة الزيرية في المغربين الأدني والأوسط، والموالي للفاطمين على المغرب الأقصى، واستطاع بلكين أن يجلي قبائل زناتة من

---

(١)مجهول: ص٢٩

(٢)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٩، أحمد العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٥١، سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص١٠٧

مضار بها ويتعقب فلولها إلى مدينة سبتة. لذا استنجدت زناتة بالمنصور ابن أبي عامر في الأندلس، فوجه إليها جيشاً بقيادة جعفر بن على الأندلسي إلى مدينة سبتة بعد أن زوده بالأموال لتغطية نفقات الحرب، وبقي هو في الجزيرة الخضراء يشرف بنفسه على الإمدادات ويراقب الوضع في المغرب عن قرب وعن كثب، كما أمر بأن تبني له القصور والمنازل في طريقة إلى الجزيرة الخضراء جنوبا، على غرار ما فعل في الطرق المؤدية إلى الثغور الأندلسية شمالا[١]

ولما أشرف بلكين بن زيرى على الجيش الأندلسي من أعالى الجبال المطلة على مدينة سبتة، ورأي منعتها وحصانتها وكثرة جيشها وسرعة إمداداتها، أدرك أنه من الصعب عليه فتحها عن طريق البر ولا يمكن ذلك إلا بواسطة المراكب بالبحر ، فحول وجهه عنها وقال لأصحابه "إنما سبتة حيه ولت ذنبها حذاءنا وفغرت فاها نحونا". ثم عاد من حيث أتي[٢]

أما المنصور بن أبي عامر فقد أمر جعفر بن على الأندلسي بالعودة إليه بقواته، واستعمل على مدينة سبتة أحد أقاربه مخلد بن محمد بن زكريا التميمى المعروف بابن برطال، ثم قفل عائدا إلى قرطبة[٣]

عودة آخر الأمراء الأدارسة إلى المغرب الأقصى بعد وفاة الحكم المستنصر:

رحل الحسن بن كنون وعشيرته إلى مصر سنة ٣٦٥هـ/٩٧٩م، بعد أن أخرجهم العاهل الأندلسي الحكم المستنصر من قرطبة فنزلوا مصر، على

---

(١)مجهول: مفاخر البربر، ص٢٩، ٣٠، أحمد العبادى:في تاريخ المغرب والأندلس ص٢٥٢

(٢)مجهول:مفاخر البربر،ص٣٠، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٧، ص٤١

(٣)مجهول: مفاخر البربر، ص٣٠، ابن خلدون: مصدر سابق، ج٧، ص٤١

خليفة الشيعة العزيز بالله الفاطمي(٣٦٥- ٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) ، فأقبل العزيز بالله على الأدارسة وبالغ في إكرامهم، ووعد الحسن بن كنون النصر والأخذ بثأره ممن غلبه على ملك أجداده[١]

وظل الحسن بن كنون وعشيرته مقيمين بمصر حتى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م، ويبدو أنه خلال المدة التي قضاها في كنف الخليفة الفاطمي العزيز بالله، كان الخليفة ووزيره يعقوب بن كلس يحرضانه على العودة إلى المغرب لإحياء الدولة الإدريسية من جديد، حتى يتخلصا من نفقاته الباهظة التي أثقلت الخزانة مدة ثماني سنوات، وقد صادفت هذه الفكرة هوى في نفس الحسن بن كنون فتحمس للأمر، وعند ذلك كتب الخليفة العزيز بالله الفاطمي بعهده على المغرب، وأمر عامله على إفريقية بلكين ابن زيرى أن يقويه بالمؤن والعتاد والجيوش، فأعطاه جيشا يتكون من ثلاثة آلاف فارس، وسار الحسن ابن كنون إلى بلاد المغرب، واشترى بالمال سواعد الكثير من زعماء البربر، فأنضم إليه عدد كبير من القبائل البربرية خاصة بني يفرن بزعامة يدر بن يعلى ابن محمد، في قومه وشايعه على مراده. كما انضم إليه عدد من العلويين الذين جاهروا بطاعته[٢]

---

(١)ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٤٥٤، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، مجهول: المصدر السابق، ص٢٨، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٨٥، محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص١٨، ليفي بروفنسال: مرجع سابق، ص٤٤٥

(٢)مجهول: مفاخر البربر، ص٣١، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٣، ٩٤، ابن خلدون: مصدر سابق: ج٦، ص٤٥١، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٨٥، أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب، ص٢٥٢،

وعلى الرغم من بعض الحوادث التي شهدها المغرب بزعامة بلكين ابن زيرى الصنهاجي، فإن البلاد ظلت على العموم تدين بالولاء للأمويين، إلى أن دوت بالمغرب من جديد أصداء عودة الحسن بن كنون[١].

وعندما جاء الحسن بن كنون إلى المغرب، وجد الناس على خلاف العادة وعمال صاحب الأندلس لا تخرق لهم هيبة، فشرع في إظهار دعوته للفاطميين، ولكن حدث ما لم يكن في حسبانه، فقد مات بلكين بن زيرى الصنهاجي سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م، وتولى أبنه المنصور من بعده، فنشغل عن الحسن بن كنون وغيره، وانصرف عن مذهب أبيه، فانفض الناس عن الحسن فلم يجد بدا من أن يدعو لنفسه، واتخذ من مدينة الأقلام مقرا له وانضم إليه بعض أتباعه[٢]

وعندما وصل خبر عودة الحسن بن كنون إلى المغرب الأقصى إلى المنصور بن أبي عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد والقائم بملكه وجه إلى المغرب عددا كثيفا من الجند بقيادة ابن عمه الوزير أبى الحكم عمر بن عبد الله بن أبي عامر (المعروف (بعسكلاجه)، وقلده أمر المغرب وسائر أعماله، وأمره بحرب الحسن بن كنون والقضاء على دعوته، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م[٣]

فركب أبو الحكم (عسكلاجه) البحر من الجزيرة الخضراء ، ونزل بسبته حيث كان الحسن بن كنون في انتظاره، ودارت بين الطرفين معارك

---

(١)عبد الهادي التازى: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، (مطبعة فضالة المحمدية، المغرب١٩٨٦م) ج٤، ص٢٧٥

(٢)مجهول: المصدر السابق، ص٣١، ٣٢

(٣)مجهول: المصدر السابق، ص٣٠، ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص٤١

حامية الوطيس، ونجح الحسن في أن يضرب الحصار على الجيش الأندلسي أياما. وأثر ذلك أرسل ابن أبي عامر مداد لجيشه وزوده بالأموال، كما أرسل إليه تعزيزات عسكرية أخرى لتعضيد ابن عمه بالمغرب بقيادة ابنه عبد الله[١] ومحمد بن جابر، وصهره الوزير عبد الرحمن محمد التجيبي وغيرهم من وجوه القواد الأندلسيين، كما انضمت إلى قواد عسكلاجه آل خزر المغراويين وهم محمد بن الخير، وخزرون بن فلفل، ومقاتل وزيري ابنا عطية المغراوى، وسائر قبيلة مغراوة. وظل محمد بن أبي عامر مقيما بالجزيرة الخضراء التي جعل منها مقرا لعملياته الحربية، ويشرف منها على المعارك ويدير دفتها كعادته[٢]وصلت الإمدادات العسكرية القادمة من الأندلس، وانضمت إلى جيوش الوزير أبى الحكم (عسكلاجه)، وسارت نحو الثائر الإدريسيى الحسن بن كنون، فأحاطت به إحاطة السوار بالمعصم وطوقته من جميع النواحي ، فلما رأي الحسن بن كنون جيوش قرطبة التي عرف بأسها تجتاز مضيق جبل طارق جيشا بعد جيش أسقط في يده واعتقد أن التاريخ سيظل يعيد نفسه إلى الأبد، وعند ذلك بدا له أن

---

(١)مجهول: مفاخر البربر، ص٣٢، وفي رواية أخرى ابنه عبد الملك. انظر: ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٤، وهذا الكلام غير صحيح لأن عبد الملك بن محمد بن أبي عامر كان في ذلك الوقت لا يزال صبيا في الثانية عشرة من عمره، ولم يجز ابن أبي عامر ابنه المذكور إلى المغرب، إلا بعد أن حدث الخلاف بينه وبين زبرى ابن عطية المغراوى سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، أي بعد هذا الحديث بنحو أربعة عشرة سنة. انظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج٤، ص٣٢٠، دوزى : مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٨، هامش ٢٢

(٢)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٤، مجهول: مفاخر البربر، ص٣٢، السلاوى: مصدر سابق، ج١، ص١٩٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٢٣

المخرج الوحيد هو الاستسلام ، وطلب الأمان لنفسه ولأهله على أن يسير إلى الأندلس كما فعل في المرة الأولى، فأمنه عسكلاجه ووثق به، وكتب إلى ابن عمه المنصور بن أبي عامر يخبره بأمره، فرد عليه بأمره بتعجيله إلى قرطبة موكلا به من يحفظه، فبعثه عسكلاجه ووصل الخبر بقدومه وجوازه إلى المنصور بن أبي عامر، لكن المنصور لم يمضي آمان ابن عمه. لأنه رأى أنه لاذمه له مع كثرة نكثه للعهد وسعيه بالفساد، واتهمه بالغدر والخيانة العظمى وأدانه، فأرسل إليه ابن أبي عامر من قتله وهو في طريقه إلى قرطبة في مكان مخصص للراحة من عناء السفر بين الجزيرة الخضراء وقرطبة. وقطع رأسه ودفن جسده، وحمل الرأس إلى المنصور محمد بن أبي عامر . وكان ذلك في جمادي الأولى سنة ٣٧٥هـ/أكتوبر ٩٨٦م[1]

وقد أثار مقتل الحسن بن كنون بهذه الصورة غضب عسكلاجه الذي غضب غضبا شديدا، لأن ابنه عمه المنصور بن أبي عامر لم يعترف بالأمان الذي أعطاه أياه للحسن بن كنون، وأخذ يتلفظ بعبارات مبالغ فيها كلفته ثمنا غاليا، وإذ تم استدعاؤه إلى قرطبة من المغرب وقتله في جمادي الثانية سنة ٣٧٥هـ/نوفمبر ٩٨٦م، وولى مكانه أحد ثقاته الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٧م ومنحه السلطة المطلقة في تدبير شئون المغرب تحت النفوذ الأموي، وأطلق يده في الأموال وأمده بالجيوش، وأمره أن يعمل على استمالة القبائل المغربية والإحسان إليهما، ولاسيما قبيلة

---

(١)ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٤، ابن الأبار: مصدر سابق، ج١، ص٢٧٧، مجهول: مفاخر البربر، ص٣٢، ابن الخطيب:أعمال الأعلام ، ج٣، ص٢٢٣، ٢٢٤، ليفي بروفنسال: مرجع سابق ، ص٢٧٨

مغراوة وزعيمها مقاتل وزيرى ابني عطية المغراوى، لبلائهما الحسن في سبيل إخماد ثورة الحسن بن كنون الأخيرة[١]

وعند ذلك رأى القوم أن المنصور بن أبي عامر لا يحجم عن البرهنة من جديد على استعمال العنف والقسوة مستهينا بكل العلاقات الأسرية وصلة الدم والقربى بقتله ابن عمه عسكلاجه[٢].

وقد آثار قتل الحسن بن كنون عطف الجميع عليه، فقد كان شريفا من نسل النبي (ص) ومن ثم كان التجاسر على حياة مثله خطيئة شنعاء في أعين هذه الجماعات، حتى أن الجند الذين قتلوه امتثالا للأوامر الصادرة إليهم ساورتهم الريبة واستبد بهم الخوف حين هبت عليهم فجأة عاصفة طرحتهم أرضا، فاعتبروها نذيرا وعقابا أنزله الله بهم[٣]

وقد اعتبر هذا العمل الذي عمله المنصور بن أبي عامر خيانة، إذ كان من الواجب عليه الوفاء بالعهد الذي قطعه قائده(عسكلاجه) كما لو كان هو نفسه الذي قطعه، وتجاهر الناس بهذه التهم رغم شدة المنصور عليهم، وظهر الاستياء بصورة جلية حتى أنه لم يعد في قدرة المنصور التغاضي عن هذه الروح السائدة، وبدأ يخشى العاقبة كل الخشية.

أما عشيرة الحسن بن كنون التي عقدت آمالها على هذا الأمر، وقد أوشك أن يصبح حاكم المغرب كله، فقد عملت أقصى ما في وسعها لآثارة

---

(١)مجهول:مفاخر البربر، ص٣٣، ليفي بروفنسال: مرجع سابق، ص٤٧٨، دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص١٢٣، ١٢٤

(٢)دوزى:المرجع السابق، ج٢، ص١٢٤

(٣)ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٨١، ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص٩٤، مجهول: مصدر سابق، ص٣٢

الفتنة، فلما علم المنصور بن أبي عامر بذلك أمر بإخراج الأدارسة من الأندلس والمغرب على أثر هذه الثورة، فتفرقوا بين القبائل المغربية، واضطروا خوفا من جنود المنصور ابن أبي عامر أن يتخلوا عن نسبهم العلوي[١]

وقد آثار قرار المنصور بن أبي عامر استياء الأدارسة فأخذوا يعرضون به في كلامهم، ويهجونه في أشعارهم لأنها الوسيلة الوحيدة التي بقيت لديهم للتنفيس بها عن سخطهم الشديد على المنصور بن أبي عامر. وفي هذا الصدد نذكر على سبيل المثال قول الشاعر إبراهيم بن إدريس الحسني:

فيما أرى عجب لمن يتعجب جلت مصيبتنا وضاق المذهب
إني لا أكذب مقلتي فيما أرى حتى أقول غلطتُ فيما أحسب
أيكون حيا من أمية واحد يسوس ضخم الملك هذا الأحدب
تمشى عساكرهم حوالي هودج أعواده فيهمَّ قردُ أشهب
أبني أمية أين أقمار الدجا منكم وما لوجوهها لا تتغيب[٢]

بمقتل الحسن بن كنون على هذه الصورة التي سبق الحديث عنها في جمادي الأولى سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، انهارت دعوة الأدارسة بالمغرب

---

(١)ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٨١، مجهول: مفاخر البربر: ص٣٢، دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص١٢٣، حسين مؤنس: مرجع سابق، ص٣٤٤

(٢)ابن عذارى: مصدر سابق، ج٢، ص٢٨١، مجهول: مفاخرِ البربر، ص٣٣، أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٥٣، دوزى: مرجع سابق، ج٢، ص١٢٤

الأقصى، وتفرق أنصارهم وركدت ريحهم وأصبح المغرب الأقصى ولاية أندلسية تخضع لحكومة قرطبة، بعد أن تفرق الأدارسة في مختلف الجهات، ولاذوا بالاختفاء بعيدا عن بطش السلطة الجديدة.

مما سبق يتضح لنا أن الأدارسة ضربوا أعظم مثل في الصبر والجلد والدفاع عن دولتهم طوال ما يزيد على قرنين من الزمان، ظلوا خلالها يصارعون ويصانعون دولتين عظيمتين (الفاطميين والأمويين)، حتى نعتوا بالتقلب والتلون لأنهم لم يجدوا خيرا في أي من الطرفين، وكان كل ما يعنيهم أن يتخلصوا منهما، ويحتفظوا باستقلالهم وسيادتهم كاملة، ولم يقوموا بما قاموا به إلا مصانعة ورياء، إذ كان الأدارسة يبغضون بني أمية ويترقبون فرصة للخروج عنهم .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المطبوعة:

ابن الآبار: (ت ٦٥٧- ١٢٦٠م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعى.

١ــ الحلة السيراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢، سنة ١٩٨٥م.

ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني.

٢ــ الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة ، بيروت، ١٩٨٢م.

الأدريسى: (ت٥٥٧هـ/١١٦٢م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى (المعروف بالشريف الإدريسى).

٣ــ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤م.

البكرى: (ت ٤٨٧هـ/١١٠٣م): أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز.

٤ــ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ، بعداد ، بدون تاريخ.

ابن تغرى بردى: (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): جمال الدين أبو المحاسن يوسف.

٥ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

الجزناني: (من أهل القرن الثامن الهجرى/١٤م) : أبو الحسن على.

٦ــ جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس تحقيق عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩١م.

الحميرى: (ت في ق ٩هـ) : محمد عبد الله بن عبد المنعم.

٧ــ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق٠ د/إحسان عباس، مكتبة لبنان – بيروت، ط٢، ١٩٨٤م٠

ابن حيان: (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م): أبو مروان بن يخلف بن حسين بن محمد٠

٨ــ المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق٠ عبد الرحمن على الحجى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م٠

ابن خاقان : أبو النصر الفتح بن خاقان بن محمد بن عبد الله القيسى٠

٩ــ تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس تقديم وتحقيق: مديحه الشرقاوى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م٠

ابن الخطيب: (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):لسان الدين محمد بن الخطيب السليماني٠

١٠ــ الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، المجلد الأول، ط١، ١٩٧٣م٠

١١ــ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، الجزء الثالث (تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط)، تحقيق د٠ أحمد مختار العبادى: والأستاذ محمد إبراهيم الكناني ، دار الكتاب – الدار البيضاء ١٩٦٤م٠

١٢ــ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، تحقيق: د/أحمد مختار العبادى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٣م٠

ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٠٤٥م): عبد الرحمن بن محمد:

١٣ــ العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، ١٩٨٣م٠

ابن خلكان: (٦٨١هـ/١٢٨٢م): أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد

١٤ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د٠ إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٨م٠

ابن أبي دينار: (ت ١١١٠هـ/١٦٩٨م): محمد بن أبي القاسم الرعيني٠

١٥ــ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،دار المسيرة، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م٠

ابن أبي زرع: (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م): على بن أبي زرع الفاسي٠

١٦ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة ، الرباط ١٩٧٢م٠

ابن سعيد المغربي: (٦٨٥هـ/١٢٨٦م): أبو الحسن على بن موسى٠

١٧ــ المغرب في حلي المغرب: تحقيق د٠ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، بدون تاريخ٠

السلاوى: (ت١٣١٥هـ/١٨٩٠م): أبو العباس أحمد بن خالد الناصري٠

١٨ــ الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، نشر في ثلاثة أجزاء، القاهرة، بدون تاريخ٠

الطبرى: (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): أبو جعفر محمد بن جرير٠

١٩ــ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٣ (طبعة منقحة) ١٩٧٩م٠

ابن عذارى: (ت القرن ٧هـ/١٣م) : أبو العباس أحمد بن محمد٠

٢٠ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج٠س٠ كولان، وليفي بروفنسال ج١، ج٢، دار الثقافة ، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م

أبو الفداء: (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م): عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر٠

٢١ــ تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ٠

ابن القاضي المكناسي: (ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م):أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي٠

٢٢ــ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، ج١، طبعة ١٩٧٣م.

القلقشندي: (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله القاهرى.

٢٣ــ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس، تحقيق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

٢٤ــ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق:إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب المصري – القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٢٥ــ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

ابن القوطية: (٣٦٧هـ/٩٧٦م): أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي القرطبي.

٢٦ــ تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

ابن كثير: (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): عماد الدين أبي الفداء إسماعيل عمر.

٢٧ــ البداية والنهاية في التاريخ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٣٣م.

ابن الكردبوس (كان حيا في القرن ٦هـ/١٢م): أبو مروان عبد الملك التوزرى.

٢٨ــ الاكتفاء في أخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس) بحيث نشره د. أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد١٣، ١٩٦٥م-١٩٦٦م.

مارمول كربخال: (ألف كتابه في النصف الثاني من القرن ١٩م)٠
٢٩ــ أفريقيا، ترجمة محمد حجى وآخرون، طبعة دار المعارف، الرباط ١٩٨٤م٠
مجهول: (ت٧١٢هـ/١٣١٢م)٠
٣٠ــ تاريخ البربر (المعروف بمفاخر البربر) تحقيق د٠ محمد زينهم، جهاد للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م٠
مجهول: (ت في القرن ٦هـ/١٢م)٠
٣١ــ الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق، د/سعد زغلول عبدالحميد، دار الشئون الثقافية (آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٦م)٠
المراكشي: (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م): عبد الواحد بن على التميمي٠
٣٢ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣م٠
المقرى: (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): أحمد بن محمد المقرى التلمساني٠
٣٣ــ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م٠
المقريزى: (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): تقي الدين أحمد بن على٠
٣٤ــ أتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧م٠
ياقوت: (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومي٠
٣٥ــ معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٩٥٦م-١٩٥٧م٠

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

إبراهيم حركات (دكتور)٠

١ــ المقرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة، الرباط، ط٣، ١٩٩٣م

أحمد إبراهيم الشعراوى:

٢ــ الأمويون أمراء الأندلس الأول، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٩م٠

أحمد شلبي: (دكتور):

٣ــ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط٦، ١٩٨٢م٠

أحمد مختار العبادى: (دكتور):

٤ــ في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية بدون تاريخ٠

إسماعيل العربي:

٥ــ دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٨٣م٠

حسن أحمد محمود: (دكتور):

٦ ــ قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م٠

حسن على حسن: (دكتور):

٧ــ الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م٠

٨ــ دراسات في تاريخ المغرب العربي، مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٧٩

حسين مؤنس (دكتور)

٩ــ معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

حسين سيد عبد الله مراد: (دكتور):

١٠ــ قبائل المصامدة منذ الفتح حتى قيام دولة الموحدين في المغرب ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) معهد الدراسات والبحوث الأفريقية، جامعة القاهرة عام ١٩٩١م٠

خليل إبراهيم السامرائي: وآخر (دكتور):

١١ــ تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان ، ٢٠٠٠م٠

خير الله طلفاح:

١٢ــ حضارة العرب في الأندلس، دار الحرية، بغداد، ط٦، ١٩٧٧م٠

رضوان محمد البارودى: (دكتور):

١٣ــ الكوارث الطبيعية في الأندلس، دار الفكر العربي، ودار نشر الثقافة، الإسكندرية ١٩٩٢م٠

رنهرت دوزى:

١٤ــ المسلمون في الأندلس، ترجمة د٠ حسن حبشى، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤م٠

سامية مصطفى مسعد: (دكتور):

١٥ــ العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث، الهرم، ط١، ٢٠٠٠م

سعد زغلول عبد الحميد: (دكتور):

١٦ــ تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية١٩٧٩م٠

السيد عبد العزيز سالم (دكتور):

١٧ــ تاريخ مدينة ألمرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م

صابر محمد دياب: (دكتور):
١٨ــ بلاد المغرب في القرن الأول الهجري، دار العلم للنشر والتوزيع، الفيوم، ط٢، ٢٠٠٠م.
الطاهر أحمد الزاوى:
١٩ــ تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٣م.
عبد الحميد العبادى:
٢٠ــ المجمل في تاريخ الأندلس، دار القلم، ط٢، ١٩٦٤م.
عبد العزيز فيلالي: (دكتور):
٢١ــ العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.
عبد العزيز بنعبد الله : (دكتور):
٢٢ــ مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي، الدار البيضاء، ج٢، ١٩٥٨م.
عبد الهادى التازى: (دكتور):
٢٣ــ التاريخ الدبلوماسي للمغرب،ج٤، مطبعة فضالة المحمدية،١٩٨٦م
الفرديل:
٢٤ــ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوى، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي ١٩٦٩م.
ليفي بروفنسال:
٢٥ــ تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية، ترجمة على عبد الرؤوف اليمني، وآخرون، مراجعة صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٠م.

محمد بن تاويت:
٢٦ــ دولة الرستمين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية – مدريد، مجلد٥ ، ١٩٥٧م٠
محمد زنيبر: (دكتور):
٢٧ــ المغرب في العصر الوسيط(الدولة – المدينة – الاقتصاد) مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٩م٠
محمد عبد الله عنان:
٢٨ــ الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، الجزء الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة مصر، ط١، ١٩٥٨م٠
محمود إسماعيل: (دكتور):
٢٩ــ الأدراسة (١٧٢ه- ٣٧٥هـ)، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١م٠
محمود على مكي:
٣٠ــ التشيع في الأندلس: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد، مجلد٢، ١٩٥٤م٠
مصطفى أبو ضيف أحمد: (دكتور):
٣١ــ آثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٣م٠